أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

غاندى

مقاتل بلا حروب

١٨٦٩ ــ ١٩٤٨

مجدى سلامة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

أدبيات

•

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

•

من: أدب ، وقصة ، ورواية ،
ودراسة ، وسير ،
وبحوث ، وفكر ، ونقد ،
وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ،
وتراث ، ولغات ، وقضايا ،
وتاريخ ، واجتماع ، وعلم
نفس ، ورحلات ، وسياسة
الخ .

•

تحت إشراف ومراجعة

لجنة القراءات
بالمؤسسة العربية الحديثة

•

شعار السلسلة

نحن نخرج لك أحسن الكتب

•

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقي الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

مقدمة

غاندى زعيم الهند العظيم ، كان يتوكأ على عصا من أغصان الأشجار . ويقتنى مغزلاً ينسج به قماشًا ليستره . وعنزة تعطيه اللبن الذى يقتات به . هذا الرجل ذو الأذنين الكبيرتين ، القصير القامة كان يغسل ملابسه بنفسه ويكويها ، ويقص شعره بنفسه ، وينظف الأطباق التى يستخدمها فى طعامه بنفسه . كما كانت لديه الخبرة بطرق الولادة وصناعة الخبز والأحذية والنجارة .

(غاندى) الذى زوّد عقله بالعلم ، وغذّى نفسه بالحكمة الإنسانية وتسلح بالإرادة والتواضع والإيمان ، اتسمت حياته بالبساطة . وبرغم كل ما صادفه من مشاكل ، لم يغضب أو يتبرم من أصحابها ، بل تغاضى عن هفواتهم وترفّع عن الانتقام منهم . لقد كان همه أن يُبقى الجميع فى الهند أعضاء فى حزب المؤتمر الهندى العام ، فلا يتصدع كيانه وأن يُبقى الهندوس والمسلمين فى وحدة ، لذلك حاول تنقية الجو بينهما وإعادة الوفاق .

لقد أكد (غاندى) بتعاليمه وتصرفاته ، أن الذى يقيم الحضارة القيم وثقة الإنسان بنفسه والاعتماد عليها واحترامه لأى عمل يقوم به ، وأن الوقت ثمين وتبديده جريمة ، والعلاقات بين أفراد المجتمع يجب أن تسودها الرحمة والتعاون والمساواة .

لقد كانت جهود (غاندى) وقفًا على المنبوذين والمضطهدين والمظلومين ، وعطفه عليهم هو الذى دفعه إلى مقاومة الحكومة

البريطانية الاستعمارية بالطرق السلمية والامتناع عن العنف ، لقد ناضل الإنجليز بلا حقد ودون كراهية لهم (المقاومة السلبية) ، لذلك حصل للهند على استقلالها وحقق الجلاء .

لقد كان من الضرورى أن نقدم « المهاتما غاندى » لأبناء هذا الجيل ليعرفوه زوجًا وأبًا وزعيمًا .. ليتعرفوا عاداته وتقاليده وأسراره وآرائه فى الحب والفن والسياسة ..

ولم نغفل أن نوضح ماذا كان يعنى السجن والصيام والمرض فى حياته ، وأثر ذلك فى نفوس أنصاره ومريديه .

كما لم نتجاهل (غاندى) الذى هجر الجنس عامدًا متعمدًا وهو زوج فى شرخ الشباب وحتى الوفاة ، وكيف حاول تحريم الجنس على ابنه مما أثار جدلاً عنيفًا قاسيًا .

ولم نغض الطرف عن الإجابة عن سؤال مهم طرح نفسه كثيرًا وهو : هل حقًّا .

ـ كان (غاندى) يعرض أعماله وآراءه وتصرفاته بطريقة مسرحية تؤكد أنه ممثلٌ قدير .. أم كان فعلاً زعيمًا وطنيًّا مخلصًا وثائرًا عظيمًا ؟؟

كم أتمنى أن يكون هذا الكتاب تخليدًا متواضعًا لذكراه ، تقديرًا لفضله ، وعرفانًا بالعطاء المثمر لبلده الهند التى أحبها الحب كله وحتى النفس الأخير .

والله ولى التوفيق

مجدى سلامة

المراجع

كتب :

غاندى الثائر القديس	لويس فيشر
هؤلاء علمونى	سلامة موسى
فى سبيل الحق	المهاتما غاندى
شخصيات فوق العادة	السيد فرج
غاندى	يوسف سعد
جواهر لال نهرو	بقلم نهرو
عند قدمى غاندى	راجنورا براساد

[صحف ومجلات] :

الأهرام ـ المصرى ـ الأخبار ـ الجمهورية ـ القاهرة ـ الزمان ـ المساء ـ وطنى ـ الحوادث ـ الثقافة ـ الدوحة ـ العربى ـ الهلال ـ المصور ـ روز اليوسف ـ أكتوبر ...... إلخ

غاندى ... مولده وطفولته وشبابه ١

● متى ولدت وإلى أى طائفة كنت تنتمى ؟

ـ ولدت فى ٢ أكتوبر سنة ١٨٦٩ فى مدينة بورناندار، وهى مدينة ساحلية صغيرة بولاية كاتياوار بالهند . جدى أوتا غاندى تدرج فى الوظائف حتى أصبح رئيسًا للمجلس التنفيذى . تزوج مرتين ، وكان له من الأولاد ستة خامسهم كان أبى «كابا غاندى» الذى عُيِّن عضوًا فى المحكمة ، وتدرج حتى أصبح رئيسًا للوزراء فى راجكوت . لقد تزوج أبى أربع مرات توفين تباعًا . لقد رزق من زوجتيه الأولى والثانية بابنتين ، وأنجبت له الأخيرة «يوتيلباى» بنتا واحدة وثلاثا من البنين كنت أنا أصغرهم . لقد كان أبى صادقًا شجاعًا كريمًا يتميز بطهارة اليد . وإن كان حظه من التعليم قليلاً إلا أن الحياة ثقفته كما اكتسب ثقافة دينية من حضوره مجالس البحث الدينى . أما أمى «يوتلبياى» فكانت شديدة التدين متينة الخلق فاضلة ، لاتأكل لقمة بدون صلاة . لقد أخذت عنها الكثير من الفضائل والمميزات التى أسهمت فى تكوين شخصيتى وخاصة فريضة الصيام . فى السابعة من عمرى دخلت المدرسة الابتدائية ، وفى الثانية عشرة دخلت المدرسة الثانوية . لقد كنت تلميذًا متوسط الذكاء خجولاً ، رفاقى هم كتبى ودروسى . لا أنكر أننى كذبت يومًا ، على مدرسى أو غششت من زملائى . لقد كنت مواظبًا على مواعيد المدرسة التى كنت أذهب إليها ـ ماشيًا على الأقدام برغم وجود سيارة أبى الفاخرة حيث كان رئيسًا للوزراء .

● **إلى أى الطوائف كنت تنتمى ؟**

ـ لقد كنت أنتمى إلى طائفة « الفايسيا » وهى تعتبر الطبقة الثالثة. فالطبقة الممتازة هى البراهمة، وتليها طبقة الكشاترية وهى طبقة الحكام والجنود، ثم تليها طبقة الفايسيا وتنتهى بالطبقة الدنيا وهى الطبقة العاملة.

● **هل لنا أن نعرف ماذا تعنى كلمة (غاندى) ؟**

ـ كلمة (غاندى) فى لغة الهندوس معناها « العطار »، والأسرة التى أنتمى إليها كانت حرفتها الأساسية التجارة.

● **من هم إخوتك ؟**

ـ لاكسميداس، وقد عمل بالمحاماة فى راجكوت، وكارسانداس الذى كان مفتشًا بالشرطة فى بورباندار، وأختى راليابتن التى كانت تكبرنى بأربعة أعوام، وقد عاشت بعدى سنوات فى حين مات أخواى فى حياتى. لقد كنت أنا أصغر إخوتى لذلك أحاطنى والدى بالرعاية.

● **متى تزوجت ؟**

ـ وأنا فى سن الثالثة عشر من طفلة فى مثل سنى اسمها «كاستورباى» ابنة تاجر من بورباندار. لقد كان الزواج له معنى واحد عندى: إرتداء الملابس الجديدة، والاستمتاع بدق الطبول، والموائد الدسمة، ثم بعد ذلك فتاة ألعب معها.

● **هل لنا أن نعرف المزيد عن هذا الزواج .. زواج الأطفال ؟**

ـ لقد كانت هناك كتب رخيصة تتناول مشكلات الحياة الزوجية وزواج الأطفال . اشتريت هذه الكتب وقرأتها . ما أعجبنى منها طبقته والذى لم أستسغه أهملته .

● ما هو أهم ما قرأت فى الكتب بخصوص الزواج ؟

ـ ضرورة إخلاص الزوج لزوجته مدى الحياة ، وتعففه عن كل ما فيه انتهاك لعهده لها . لقد ظل ذلك الدرس منطبعًا فى نفسى طوال حياتى . وأصبح إخلاصى لها حقًّا متأصلاً لها .

● وكما كنت وفيًّا لزوجتك ، فبالطبع أردتها وفية لك . وتحولت تحت تأثير هذه الفكرة إلى زوج شديد الغيرة ، ترقب حركاتها ولاتسمح لها بالخروج إلا بإذنك .

ـ لقد كان ذلك مثار نزاع مرير بيننا ،لم تسكت كاستوربای زوجتی على القيود التى فرضتها عليها ، وتعمدت أن تخرج كلما أرادت ، وكلما كنت أتشدد كانت تستبيح لنفسها مزيدًا من الحرية فيزداد غضبى عليها .

● حتى أصبح الخصام والامتناع عن الكلام أمرًا عاديًّا بينكما أيها الزوجان الطفلان . وبالطبع تأكدت ـ مع الأيام ـ أن زوجتك كانت تذهب إلى المعبد أو إلى زيارة صديقاتها .

ـ وأننى كنت مخطئًا بغيرتى العمياء ومحاولتى فرض سلطانى عليها .

● هل لنا أن نعرف بعض صفاتك خلال تلك الفترة ؟

ـ لقـد كنـت جبانًا ، يتسلط علىّ الخـوف من اللصوص والأشباح والأفاعى . لم أجرؤ على الخروج فى الليل . كـان الظـلام يرعبنـى ويخيفنى ، وكان يسـتحيل علـىّ النوم فى الظلام ، لذلـك كنت أنام والمصباح يضىء حجرتى .

• على كلٍ لقد كانت زوجتـك أكثـر شـجاعة وإقدامًا منـك ، وكـانت تخرج لأى مكان فى ظلمـة الليل الموحشـة ، وأنـها لـم تكـن تخشى الأفاعى والأشباح مثلك .

ـ لقد دفعتنى تصرفات زوجتى للتفكير فى خيانتهـا ، وكدت أن أستجيب لإصرار صـديقى ، الـذى أراد أن يأخـذنى إلى أحد بيـوت الدعارة ، بعد أن قام بترتيب كل شىء ودفع كـل شـىء مقدمًـا ، لقد سرت بقدمى إلى وكر الرذيلة .

• الـذى مـا إن دخلتـه حتـى أحسسـت أنـك أعمـى لا تبصـر وأبكـم لا تنطق . وانعقد لسانك فلم تستطع أن تقول شيئًا .

ـ فما كان مـن المـرأة البغى ، إلا أن ضـاقت بى ، وشيعتنى إلـى الباب بالشتائم .

• إن كان اللّه قد أنقذك مما كنت مقبلاً عليـه مـن زلـل .. فهـل ابتعدت عن معاشرة هذا الصديق الذى أعثرك ؟

ـ لم أبتعد عنه إلا بعد أن حاول أن يشعل نيران الظنون والشكوك، من جهة زوجتى التى كنت مولعًا بها وأغـار عليها ..

مسكينة زوجتى ، فقد احتملت منى الكثيـر وتسـامحت أكثر . لقد كنت سخيفًا قاسيًا معهـا ، حتى أكـدت لى الأيـام أن استماعى لكلام

ذلك الصديق ، الذى لم أكن أتشكك فى صدق قوله ، كاد أن يخرب بيتى ، لذلك كرهته وابتعدت عنه .

- **على كلٍ لم تكن الخيانة وحدها التى كدت أن تقترفها .. بل حاولت السرقة .**

ـ بل سرقت فعلاً بعض قطع العملة الصغيرة من مصروف خادمنا لكى أشترى به بعض السجائر الهندية ، كما سرقت وأنا فى الخامسة عشر من أخى جزءًا من تميمة ذهبية كان يلبسها حول ذراعه دون أن يحس .

- **لقد كذبت على أمك حين بدأت تأكل اللحم سرًّا ، وعندما كنت تعود إلى البيت ، وتسألك إن كنت تريد العشاء ، فكنت تقول لها ليس عندك شهية ، وإن هضمك ليس على ما يرام .**

ـ لقد قررت أن أكف عن تناول اللحم ، حتى لا أخدع أو أكذب على أمى باختلاق الأعذار . كما قررت ألا أعود إلى السرقة ، وصممت أن أعترف لأبى كى أطهر نفسى .

- **لقد قدمت لأبيك اعترافك كتابة ، وسلمته إليه خجلاً ، وما إن قرأ الرسالة ، حتى أخذت الدموع تتساقط على خده ، وبعدها مزق الرسالة .**

★ ★ ★

٢ غاندى . . وماذا تعلم من أبيه

ـ هذه الدموع غسلت كل ما في قلبى من إثم ، ومحت ذنبى الذى عكر علىّ صفو حياتى . لقد أعطانى أبى درسًا عمليًا فى المحبة الخالصة ...

فقد كنت أظن أنه سيغضب ، ويوجه لى قارص الكلام ، ويضرب رأسى بيده ، ولكنه تسامى فى المغفرة بهدوء غريب .

• أعتقد أن مرد هذا الهدوء ، أن اعترافك الخالص الذى صاحبه وعدك بالتوبة الحقة ، قد قدمته لمن يملك العفو .

ـ لقد شعرت بأن اعترافى ، قد بعث فى نفس أبى شعورًا بالسكينة وزاد فى محبته لى زيادة لا تقدر .

• كيف تعاملت مع أبيك فى مرضه ؟

ـ لقد كنت أقوم بدور الممرض ، أضمد جراحه وأسقيه الدواء ، وأخلط له العقاقير ، وأدلك رجليه كل ليلة ، ولا أكف إلا إذا طلب منى ذلك ، أو إلا إذا غلبه النوم . فقد كان القيام على خدمته أمرًا محببًا إلى نفسى . وذات يوم عرض علىّ عمى أن يريحنى قليلاً من تدليك قدمى أبى ، ورحبت بذلك وانصرفت إلى حجرة نومى .. وأيقظت زوجتى .

• ولم تمض دقائق ، حتى حضر الخادم وطرق الباب ، وما كدت تسأله ما الأمر ، حتى قال لك لقد انتهى أبوك .

ـ لقد أصابنى الخزى والبؤس .. فلولا أن تغلبت علىّ الشهوة البهيمية حتى أعمتنى ، لكنت تجنبت ألم الفراق عن أبى فى تلك اللحظات الأخيرة . لقد ظل سلوكى فى تلك الليلة وصمة لاحقتنى ، فلم أستطع نسيانها ، أو التحلل من أثرها ، إلا بعد وقت طويل .

● **ماذا تعلمت من أبيك ؟**

ـ تعلمت التسامح نحو جميع المذاهب الهندوسية ، ونحو غيرها من الأديان ، كما كان لأبى أصدقاء من المسلمين ومن المجوس ، يحضرون إليه ويتحدثون معه فى شئونهم الدينية ، وكان ينصت إليهم فى إجلال واحترام واهتمام .

● **لقد أتاح لك قيامك على شئون أبيك خلال مرضه ، فرصة الاستماع إلى تلك الأحاديث .**

ـ وتجمع فى نفسى وغرس فى قلبى ، روح التسامح نحو جميع الأديان ، إلا دينا واحدًا هو المسيحية ، فقد كانت له كراهية خاصة فى نفسى .

● **ما السبب ؟**

ـ ذلك لأن المبشرين المسيحيين ، انطلقوا فى تبشيرهم يسخرون من الهندوس ويستهزئون بآلهتهم ، ولم تحتمل نفسى ذلك ، ولم أستمع لهم إلا مرة واحدة ولم أكرر التجربة .

• ولكنك سمعت عن الرجل الهندوسى المعروف الذى ارتدّ إلى المسيحية ، وكانت المدينة كلها تتحدث عنه ، وتلوك بألسنتها مسلكه بعد ارتداده .

ـ لقد قالوا إنه أكل عند تنصيره لحم البقر ، وشرب المشروبات الكحولية ، وبدل ملابسه فأخذ يمشى بين الناس بالزى الأوروبى بما فيه القبعة .

• واشمأزت نفسك من كل ذلك ، وقلت لنفسك إن دينا يرغم الناس على أكل لحم البقر وعلى شرب الخمر وعلى تغيير زيهم ، لا يمكن أن يكون جديرًا بهذا الاسم .

ـ إن ما ولد فى نفسى شعورًا بالكراهية للمسيحية ، أن هذا المرتد ، قد شرع يسخر من دين أجداده وآبائه ، ويهزأ بعاداتهم وببلادهم .

• على كلٍ فإن التسامح نحو الأديان الأخرى ، الذى تعلمته فى صغرك لم يعن بالضرورة أن الإيمان بالله عن إدراك ووعى ، كان يملأ عليك نفسك فى تلك الأيام .

ـ ومع ذلك فإن شيئًا واحدًا قد تغلغل إلى أعماق نفسى فى ذلك الوقت ، ذلك هو الإيمان بأن الأخلاق أساس كل شىء ، وبأن الحق هو أساس الأخلاق ، ومن ثم فقد أصبح الحق الهدف الذى أتبعه . وأخذ إيمانى بالحق يزداد ، وإدراكى لمعناه يتسع شيئًا فشيئًا على مر الأيام .

• متى التحقت بالمدرسة الثانوية ؟

ـ فى سن الثامنة عشر التحقت بمدرسة «راجكوت» الثانوية ، واستمررت بها ثلاث سنوات ، لم أرسب خلالها ، وحصلت على الثانوية العامة سنة ١٨٨٧ ، وكان أبى قد مات قبل حصولى على الثانوية بعام واحد .

● أين أكملت دراستك بعد المرحلة الثانوية ؟

ـ التحقت بكلية سامالداس فى بهافناجر ، ولكننى عجزت عن متابعة مايلقى فيها من دروس ، وتركتها غير آسف بعد الفصل الدراسى الأول وعدت إلى بيتى ، واقترحت على والدتى وأخى ، أن أذهب لتعلم القانون فى انجلترا وأصبح محاميًا . وبالرغم من عدم وجود المال لسد نفقات سفرى وإقامتى بانجلترا ، الأمر الذى أقلق أخى ، إلا أن أمى التى لم يسبق لها مفارقتى ، والتى كانت تخشى سفرى لحداثة سنى ، وخوفها من انغماسى فى أكل اللحم وشرب الخمر ومعرفة النساء ، وافقت بعد أن استشارت ناصحًا أمينًا للعائلة طالبنى أن أقسم فى حضورها ، على ألا أمس الخمر ولا أقرب النساء ولا آكل اللحم . وأذنت لى أمى بالسفر .

● فسافرت إلى بومباى ، يصحبك رضاء أمك ودعواتها ، ولكن خلفت وراءك زوجتك ، وطفلك الذى جاوز عامه الأول .

ـ ما إن وصلت بومباى ، حتى طلب أصدقاء أخى لاكسميداس المحامى ألا يسمح لى بالسفر إلا فى شهر نوفمبر ، متعللين بأن أمواج المحيط الهندى تشتد وتتلاطم خلال شهرى يونيو ويوليو . أما أهل الطائفة ـ التى أنتمى إليها ـ فكانوا فى ثورة عارمة خوفًا علىّ من الزلل ، وحاولوا تثبيط عزمى عن السفر ، ولكننى أصررت

بعد أن أذنت أمى لى بالسفر ، وكذلك أخى الذى تكفل بكل نفقات تعليمى فى انجلترا . وأبحرت من بومباى فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٨

● ولما كانت هذه هى المرة الأولى التى تسافر فيها إلى انجلترا ، فبالطبع قد قابلتك صعوبات على ظهر السفينة ، فهل لنا أن نعرف بعضها ؟

- أول ما قابلنى ، صعوبة التحدث إلى الركاب باللغة الإنجليزية ، وعجزت عن تتبع عباراتهم إذا تحدثوا ، وإن فهمتها كنت عاجزًا عن الإجابة سريعًا . كذلك كنت أجهل الأكل بالشوكة والسكين ، كما كان ينقصنى الشجاعة ، لكى أستفسر عن الأطباق الخالية من اللحم بين أصناف قائمة الطعام ، مما اضطرنى لتناول طعامى فى المقصورة ، وليس علىَ مائدة الطعام . لقد نصحنى بعض الأصدقاء بضرورة اختلاطى بالركاب والتحدث إليهم بحرية ، باللغة الإنجليزية ، غير مبالٍ بما قد أقع فيه من أخطاء لاسبيل إلى تجنبها .

● ووصلت إلى انجلترا . تُرى ما هو أول درس تعلمته فى انجلترا ؟ ويا حبّذا لو قدمت لنا ملخصًا لحياتك فيها يا عزيزنا غاندى .

★ ★ ★

٣ غاندى .. وماذا درس فى إنجلترا

ـ أول درس تعلمته فى انجلترا ، كان فى فندق فيكتوريا الذى نزلت فيه ، فقد حضر لزيارتى الدكتور ميهتا ، الذى أبرقت إليه لزيارتى فى الفندق . لقد ترك قبعته السوداء بالقرب منى ، فمددت لها يدى لأتحسس مدى نعومتها . فنظر إلىّ الدكتور وقال مبتسمًا .

● حذار أن تلمس مايخص غيرك ، أو تسأل الناس أسئلة على نحو ماتفعل فى الهند عند أول لقاء معهم ، وإياك التحدث بصوت مرتفع ، أو مخاطبة أحد من الناس فتقول له «ياسيدى» ، فالخدم والأتباع هم وحدهم الذين يخاطبون أسيادهم بهذا الأسلوب »

ـ لقد كان هذا الدرس أول ماتلقيته فى آداب اللياقة الأوروبية .

● هل لنا أن نعرف أسلوب حياتك ، خلال سنى دراستك الثلاث فى لندن ؟

ـ بالرغم من وصولى لندن فى سبتمبر سنة ١٨٨٨ لدراسة القانون ، إلا أننى كنت شغوفا بأهلى ، أفكر باستمرار فى أهلى ووطنى . لقد كان كل شىء حولى جديدًا ومثيرًا . الأهالى وعاداتهم وطرائفهم فى الحياة .

لقد كنت حدثًا أمام الإتيكيت الانجليزى .

● هل حقًا مر أسلوب حياتك بمراحل ثلاث ؟

ـ فعلاً .. فالمرحلة الأولى كانت بناء على نصيحة الدكتور ميهتا ، الذى قال إننا لا نأتى إلى انجلترا بقصد الدراسة فحسب ، ولكن لكى نكتسب أيضًا عادات الإنجليز وطريقتهم فى الحياة . لذلك اضطررت أن أعيش وسط عائلة إنجليزية ، بعد أن قضيت فترة تمرين فى حجرة صديق للدكتور ، علمنى آداب الإنجليز وطريقة حياتهم ، وغرس فىّ عادة التحدث بلغتهم ، كما كان شغوفًا حنونًا علىّ .

بعد شهر انتقلت للإقامة وسط أسرة إنجليزية فى لندن ، ربة البيت أرملة عجوز لها ابنتان ، وكانت دراستى لم تبدأ بعد ، فشرعت أقرأ الجرائد بانتظام ، وأنزل لأجوّل . ولفت نظرى كتاب لسولت عنوانه «مناشدة من أجل النظرية النباتية» . اشتريت الكتاب بشلن ، وتأثرت بقراءته ، وأصبحت لا آكل إلا كل ما هو نباتى طوال حياتى .

● وماذا عن ملابسك ووسائل تسليتك ؟

ـ عمدت إلى شراء ملابس جديدة ، وقبعة وبدلة سموكن سوداء ، وسلسلة ذهب للساعة ، وتعلمت عقد الكرافته . وكنت أمضى أكثر من عشر دقائق أقف أمام المرآة الضخمة أراقب نفسى بعد أن أرتدى ملابسى ، أو أصفف شعرى أو أعقد كرافتتى .

● سبحان اللّه .. لقد كانت المرآة فى الهند إحدى الكماليات ، التى لا يباح الاستمتاع بالنظر فيها إلا حين يحضر الحلاق إلى بيتكم ليجز شعرك .

ـ لقد أردت أن أكون جنتلمانًا إنجليزيًا .. بدأت أتلقى دروسًا فى الرقص واللغة الفرنسية ، أنا الطالب الذى حضرت خصيصًا ، لأدرس ما يؤهلنى لأن أكون محاميًا . سألت نفسى كثيرًا ،

مـا الحكمــة من تعلمـى الرقـص أو فـن الإلقــاء أو العـزف علــى الكمان ، وأدركت أننى أجـرى وراء فكرة خاطئة . وحمدت اللّه أنـها لم تستمر أكثر من ثلاثة شهور . أصبحت بعدها طالبًا ملتزمًا .

• كل هذا حدث فى المرحلة الأولى ، أما المرحلة الثانية فقد بـدأت باستقلالك فى السكن ، وتدبير شئونك بنفسك ، بدلاً مـن الإقامة مع عائلة انجليزية ، وكنت تختار السكن الذى يمكنك مـن الذهـاب إلى عملك بدون مواصلات ، اقتصادًا للوقت والنفقـات . واستأجرت جناحًا من حجرتين ، واحدة للجلوس والأخرى للنوم .

ـ ولمـا كانت الامتحانـات التى تؤهلنى لأكـون محاميًا ، لاتحتاج إلى كثير من الدراسة والمذاكرة ، فقد قررت الاستفادة بوقت الفراغ ، فدرست الإنجليزية والفرنسية واللاتينيـة والضـوء والحرارة ، وحصلت على شهادة (الماتريكيوليشن) من جامعة لندن . كما اكتفيت بالسكن فى غرفة واحدة ، وامتنعت عن أكل الحلوى والتوابل ، وتغـاضيت عن شرب القهوة والشاى واكتفيت بالكاكاو .

• مهلاً يا مسيو (غاندى) .. فالحديث عن إقامتك ثلاث سنوات فى إنـجلترا ، يتطلب المزيد من الوقت والصفحات .

ـ خاصة أننى سكنت فى بيوت كثيرة ، سـواء فـى مدينـة فنتنـور أو برايتـون أو خلافهمـا ، وقـد تدهش لـو عرفـت أننــى كنـت أمشــى ١٦ كيلومترًا يوميًـا ، سـيرًا على الأقدام . حتى أذهب إلى كليتى .

• لذلـك سوف نكتفى بأن تحدثنا .... كيف قـابلت تحـرر بنـات لندن وحبهم للصداقة والغزل ؟

ـ من المؤسف مع أننى كنت متزوجًا ولى طفل فى الهند إلا أننى تظاهرت لفترة طويلة بأننى أعزب ، مثل الكثير من شباب الهنود الذين أقاموا لدى عائلات انجليزية ، حتى لايحرموا من مصادقة الفتيات ومغازلتهن ، خاصة وأن والدىِ الفتاة كانا يشجعانها على التمادى فى الاختلاط بالمغتربين من كل الجنسيات .

- **معنى ذلك أنك حنثت بيمينك التى أقسمتها لوالدتك ، بألاَّ تقرب النساء .**

لقد تعرفت بامرأة مسنة غنية فى فندق ، وأعطتنى عنوانها فى لندن ، ودعتنى لتناول العشاء فى بيتها يوم الأحد من كل أسبوع . وكانت فى كل مرة ، تعاوننى على التغلب على حيائى ، وتقدمنى إلى بعض الفتيات من أقاربها وصديقاتها ، بل وتدفعنى دفعًا إلى التحدث إليهن ، وتخصّ من بينهن فتاة كانت تقيم معها . بل كثيرًا ما كانت هذه السيدة ، تتركنا وحدنا فى البيت . ولما أدركت أنها تأمل أن لقائى مع هذه الفتاة ، قد يؤدى إلى زواجنا ، اضطررت أن أعرفهما أننى متزوج .

- **بالطبع التقيت بنساء فى فنتنور وبرايتون وبورتسموث .**

ـ فى بورتسموث عقد مؤتمر للنباتيين ، دعيت إليه أنا وصديق هندى ، وأقمنا فى أحد البيوت التى تسكنها نساء سيئات السمعة ، لقد جلست معنا إحدى الداعرات ولعبنا البريدج ، وتبادلت مع صديقى النكات المبتذلة ، وسرعان ما وجدت نفسى ، مسوقًا للاشتراك معهما فى نكاتهما . وفجأة وجدت صديقى يقول لى ، يبدو أن الشيطان سوف يتسلل إلى نفسك .

• وعندئذ تذكرت عهدك لأمك ، فتركت لعب الورق ، وجريت وذهبت إلى حجرتك وأنت ترتعد .

ـ لم أكن أدرك فى ذلك الوقت كنه الدين ، ولا حقيقة اللّه ، ولا أعرف كيف يسيرنا فى أمورنا . كان كل ما أحسست به ، أنه أنقذنى مما كدت أتورط فيه . نعم لقد كنت كلما افتقدت الأمل ، وتخلى عنى الصديق والمعين، وأظلمت الدنيا فى عينى ، أجد الفرج وقد أتانى من حيث لا أدرى ، ومن ثم فإن التضرع إلى اللّه ، والعبادة والصلاة لا يمكن أن تكون خرافة . بل هى كلها أمور واقعية بل أكثر واقعية حتى من الأكل والشرب ومن الجلوس والمشى . بل لا أغالى إذا قلت : إنها وحدها الأمور الواقعية أما عداها فهو سراب .

* * *

٤ غاندى .. والأديان التى تأثر بها

● **حديثك عن الله ، يدفعنى لأن أستفسر عن بداية تعرفك بالأديان .**

ـ بدأ تعرفى بالأديان فى انجلترا .. فقد قرأت كتاب الأنشودة السماوية ، وكذلك كتاب الضوء المنبعث من آسيا ، وكلاهما للسير (أدوين أرنولد) .. لقد قرأت كتابًا قيمًا عن « الجيتا » ، وأعتبره خير الكتب لمن أراد أن يعرف ما هو الحق .. وظل هذا الكتاب يمدني بالعون ، كلما تولانى الضيق وضجر الحياة .

● **هل لنا أن نعرف ما هى الجيتا ؟**

ـ الجيتا معناها أنشودة الرب أو أنشودة السماوات ، ولقد قرأتها مترجمة إلى الإنجليزية ، عندما كنت فى لندن ، وقد أسفت أشد الأسف لأننى لم أقرأها قبل سن العشرين ، والجيتا هى عند الهندوس ، تعدل قداسة القرآن عند المسلمين وقداسة الإنجيل عند المسيحيين ، وقداسة التوراة عند بنى إسرائيل . لقد كانت الجيتا هى سراجى الروحى وملاذى فى كل يوم .

● **ما الذى استرعى انتباهك فى الجيتا ؟**

ـ «تلقى الأذى كما تتلقى السرور ، وتلقى الخسارة كالربح ، والهزيمة كالنصر ، فإنك إن فعلت لم تتورط فى إثم » .

● أعتقد أنك التقيت بمدام (بلافانسكى) ، وقرأت كتابها مفتاح الثيوصوفية ، وأثار فى نفسك شوقًا إلى مطالعة الكتب التى تعالج الهندوسيه .

ـ كما استمعت للجدل الذى دار بين مدام (بلافانسكى) والمسز (بيزانت) ، حول كيفية اعتناقهما مذهب الثيوصوفية .

● لقد التقيت بمسيحىّ ، فى فندق بمدينة مانشستر ، وتحدث إليك عن المسيحية ، وقصصت عليه ذكرياتك مع المبشرين فى راجكوت بالهند ، وتألم لذلك .

ـ وقال لى إنه نباتى ولا يشرب الخمر ، بينما غيره من المسيحيين ، يأكلون اللحم ويشربون الخمر ، مع أن الكتاب المقدس ، لا يحض على أكل اللحم ، ولا يدعو إلى شرب الخمر ، ونصحنى بأن أقرأ الإنجيل ، وأعطانى نسخة منه .

● وأخذت تقرأ الكتاب المقدس ، ولم تستطع أن تشق طريقك فى العهد القديم ، بل قرأت سفر التكوين ، والفصول التى تلته وكانت تبعث فى نفسك النوم ، أو تجد صعوبة فى فهمها .

ـ بل فقدت عنصر التشويق ، فى تتبع العهد القديم ، وخاصة سفر العدد الذى كرهت قراءته .

● وماذا عن أثر العهد الجديد من الإنجيل فى نفسك ؟

ـ لقد كان أثره فى نفسى ، على نقيض ما انتابنى عند قراءة العهد القديم ، وخاصة «الموعظة على الجبل» فقد تسللت إلى

قلبى ودفعتنى إلى عقد مقارنة بينها وبين «الجيتا» ، وكذلك الآيات التى تقول : « ولكنى أقول لك لا تقاوم الشر . ومن ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر . وإذا أخذ أحد من الناس رداءك فقدم له عباءتك » .

● **لقد أعجبتك هذه الآيات ، وملأتك غبطة لاحد لها . وذكرتك بعبارة «شامال بهات» من أعطاك قدحًا من الماء أعطه وجبة شهية » .**

ـ وهكذا أخذ عقلى يربط بين «الجيتا» وبين موعظة الجبل ـ فقد كانت روح الاستسلام التى تتخللهما جميعًا ، أعلى مراتب التدين ، المحببة إلى نفسى .

● **على كلٍ إن كنت لم تسطتع أن تتجاوز هذا القدر من الإلمام بأمور الدين فى ذلك الوقت ، إلاّ أنك آليت على نفسك ، أن تستزيد من مطالعة الكتب الدينية فى المستقبل ، حتى تتعرف جميع الديانات .**

ـ هذا صحيح .. فقد قرأت الفصل الخاص بنبى الإسلام فى كتاب كارلايل « الأبطال وعبادة الأبطال » .

● **على كلٍ يا مسيو (غاندى) ، لم تكن إنسانًا متعصبًا ، وإن كنت متمسكًا بدينك ، لقد كنت تحب جميع الناس ولا تحب التفرقة إطلاقًا .**

ـ لقد كنت أرى المنبوذين فى الهند ، طائفة مظلومة يجب أن تتساوى فى حقوقها مع غيرها من الطبقات ، كما كنت أحب اليهودى والمسيحى والمسلم ، كما أحب أى إنسان ينتمى إلى أى دين آخر ، فقلبى به متسع للجميع .

● **ولما كانت الامتحانات على الأبواب .**

ـ فقد كان لى العذر ، إذ كان الاستعداد للامتحان قد شغل كل وقتى وتفكيرى ، ولم يترك فراغاً لغيره من الموضوعات .

● **على كلٍ لقد جزت امتحاناتك بنجاح ، وفى ١٠ يونيو سنة ١٨٩١ سُجلت فى جماعة المحامين ، وفى ١١ يونيو قيدت للمرافعة أمام المحكمة العليا .**

ـ وفى ١٢ يونيو ١٨٩١ أبحرت عائدا إلى بلدى وسط دوامة من الحيرة والارتباك .

● **مسيو (غاندى) هل اكتفيت بدراستك القانون فى انجلترا ؟**

ـ لقد درست المجتمع إلى جانب دراستى للقانون ، لقد انكببت فى المكتبة على قراءة كتب العلماء والفلاسفة مثل : جوته وكارليل وتولستوى وراسكين ، وقرأت التوراة ، ودرست ـ كما سبق أن أوضحت ـ الفصل الذى أبدعه توماس كارليل ، عن البطل « محمد » فى كتابه الأبطال والبطولة .

● **لقد زوَّدت عقلك بالعلم ، وغذَّيت نفسك بالحكمة والإنسانية ، كما كنت تقارن بين المجتمع الإنجليزى والمجتمع الهندى ، فعشت بعقلك فى انجلترا ، وبروحك فى الهند .**

ـ لقد التقيت بعدد كبير من الكتاب والمفكرين ، ورأيت الحقيقة فى خيالى ، ونذرت نفسى للّه والهند ، وتأكد لى أن لقاء الشرق والغرب مستطاع لأننا عالم واحد ... لقد أدركت كل ذلك وأنا عمرى ٢١ سنة .

● **أستأذنك فى الاستفسار ، لماذا الحيرة والارتباك ، عندما أبحرت عائدًا إلى الهند ، مؤهلاً لممارسة القانون ؟**

ـ لقد درست القانون حقًا ، ولكننى لم أتعلم كيف أمارس القانون الذى درسته .. لم أكن قد درست شيئًا عن القانون الهندى ، لم تكن عندى أى فكرة عن الشريعة الهندوسية أو الإسلامية .. بل لم أكن قد تعلمت ، كيف أحرر عريضة الدعوى ، أو أكتب التماسًا قانونيًا . تُرى بعد كل ما أوضحت ألا تصيبنى الحيرة ؟ ألا يخالجنى الشك ، فيما إذا كان فى إمكانى أن أكسب عيشى عن طريق مهنة المحاماة ؟

* * *

٥ غاندى .. والعودة إلى الهند

● المهم أنك أبحرت إلى الهند ، ووصلت ميناء بومباى .

ـ ووجدت أخي الأكبر فى استقبالى . وسألته فى لهفة عن أمى التى أتحرق شوقًا لرؤيتها . وصارحنى بأنها قد ماتت ، وأنا فى انجلترا ، وأخفى عنى خبر موتها ، حتى لا أصدم فى الغربة .

● بالطبع صدمت بعد معرفتك بوفاتها .

ـ وإن كانت وفاتها قد حطمت معظم الآمال العزيزة على نفسى . إلا أننى لم أستسلم لمظاهر الحزن العنيفة ، واستطعت أن أكبت دموعى ؛ حتى أكون مستعدًا لمواجهة المشاكل التى تنتظرنى .

● هل لنا أن نعرف باختصار ، كيف بدأت حياتك بعد عودتك إلى الهند ؟

ـ لقد حاولت أن أعمل بالمحاماة فى الهند ، ولكن لم أكن على معرفة بالقانون الهندى ـ كما سبق أن أوضحت ـ هذا فضلاً عن سوء معاملة القضاة لى ، لأن جميع المحامين كانوا من الإنجليز ، فكان القضاة يعاملوننى بأسلوب شديد الإحراج ، أمام الحاضرين فى قاعة المحكمة . مما جعلنى لا أقوى حتى على الكلام .

● فحاولت أن تترك المحاماة وتلجأ إلى التدريس لكى تستطيع أن تحصل على نقود تصرف منها على أسرتك ، خاصةً وأنه عند عودتك إلى الهند ، وجدت لك ابنًا عمره ثلاث سنوات فى راجكوت .

ـ من المؤسف أن المدارس التى عرضت عليها نفسى للعمل بها ، لم تقبلنى لعدم حصولى على درجة جامعية هندية .

- **وعدت إلى راجكوت ، وعملت محررًا للعرائض ، مثل الكتبة الذين يجلسون على مكاتب صغيرة أمام المحاكم ، لكتابة الطلبات للناس الذين لايعرفون الكتابة ، أو الذين يجهلون صياغة هذه الطلبات . لقد كنت تتكسب من هذا العمل ثلاثمائة روبية فى الشهر .**

ـ وباختصار لم أجد عملاً يناسبنى فى بلدى ، ولكننى تلقيت عرضًا من شركة دادا عبد اللّه ، لمهمة قانونية فى جنوب أفريقيا .. وبدأ صراع الأمل والواقع فى نفسى .. الواقع يشدنى للعمل فى الهند . والأمل يحدونى فى النزوح إلى جنوب أفريقيا ، حيث كانت جالية هندية كبيرة ، تعيش بين أصحاب النفوذ البيض ، وأصحاب الأرض السود .

★ ★ ★

٦ غاندى ... مشاكل وعقبات فى طريق الهجرة إلى جنوب أفريقيا

● متى هاجرت إلى جنوب أفريقيا ؟

ـ فى مايو سنة ١٨٩٣ ، فقد احتجزت الشركة لى ، تذكرة درجة أولى فى القطار إلى بريتوريا عاصمة الترانسفال ، ودخلت المقصورة لأجد راكبًا حدق فى وجهى وتفرّس فىّ ، ولما وجدنى ملونًا خرج مستاءً ، ثم عاد ومعه ثلاثة من موظفى السكة الحديد . لقد قال لى أحدهم : تعال معى فإن مكانك فى الدرجة الثالثة . فقلت له مستغربًا دهشًا : « كيف هذا وأنا أحمل تذكرة سفر بالدرجة الأولى ، وقد سمح لى بالسفر فى هذه المقصورة ، إننى مصر على أن أبقى فيها » .

● غير أن الموظف استمر فى عناده ، وأصر على ذهابك إلى الدرجة الثالثة ، وهددك مالم تترك المقصورة ، فسوف يستدعى الشرطة ليخرجك عنوة .

ـ وقلت له افعل ما تريد ، فإننى أرفض أن أخرج من المقصورة طائعًا . وفوجئت بأن جاء شرطى وأمسك بيدى ثم دفعنى خارج المقصورة ، وألقى بحقائبى إلى الرصيف . وانطلق القطار فى طريقه ، وأنا واقف مكانى على الرصيف أرقبه ، بعد أن رفضت أن أذهب ، إلى الدرجة الثالثة كما أرادوا .

● **كان ذلك فى شتاء قارس البرودة ، ومعطفك داخل إحدى حقائبك ، وفضلت أن ترتعد فى يوم بارد ، على أن تطلب المعطف ، فيعاود عمال المحطة إهانتك .**

ـ لقد أدركت فى هذه اللحظة ، مايلاقيه الهنود من عنت ومذلة واضطهاد ، فى أرض الوطن وفى المهجر . ورحت أفكر ، هل أكافح لأبلغ حقى ، أو أعود إلى بلدى . ووجدت أنه من ضعف النفس أن أفر راجعًا ، وقررت أن أستمر وأحقق آمالى .

● **يبدو أنه صادفتك مشاكل خطيرة فى جنوب افريقيا ، بعد أن اشتغلت بالمحاماة فيها .**

ـ أخطر المشاكل كانت المواصلات .

● **وما دمت قد ذكرت المواصلات ، فهل لنا أن نعرف ماذا حدث لك فى رحلتك ، من شارلستون إلى جوهانسبرج ؟**

ـ هذه الرحلة كانت تتم عن طريق العربات التى تجرها الخيول ، وعلى ظهر العربة . مقعد لفردين القائد والسائق . وشاء حظى العاثر أن القائد جلس داخل العربة ، وطلب منى أن أجلس بجوار السائق ، برغم وجود مكان لى داخل العربة ، وامتثلت لحاجتى إلى الوصول إلى جوهانسبرج فى موعد محدد . وجلست بجوار السائق ، وبعد نصف ساعة ، خرج القائد من داخل العربة ، وصمم على أن يجلس مكانى بجوار السائق ، وطلب منى أن أجلس على قطعة خيش تحت رجلىّ السائق على الأرض .

● **فما كان منك إلا أن قلت له : إنك تحمل تذكرة فلماذا لاتجلس داخل العربة ؟ وغضب القائد ، وحاول أن يقذف بك من العربة .**

ـ وتعلقت بعارضة نحاسية فى العربة ، وظل القائد يضربنى ، ولم ينقذنى إلا صياح الركاب البيض داخل العربة ، وقالوا للقائد : لماذا لا أجلس داخل العربة ولى الحق فى ذلك ؟ وعندئذ تركنى أجلس داخل العربة . لقد جلست فى مكانى صامتًا لا أنطق بكلمة ، وفى أعماقى مرجل غضب ، حتى وصلنا ووقع نظرى على بعض الهنود فتنفست الصعداء . ونزلت وتقدم الأصدقاء ، واصطحبونى معهم . ورويت لهم ما صادفنى من ظلم واضطهاد فى الطريق .

● **وأسفوا لما سمعوه ، وأخذوا يقصون عليك تجاربهم المريرة ، وما يلاقونه من عنت واضطهاد وطغيان ، ومعاملة سيئة فى جنوب أفريقيا .**

ـ وبدأت الهند كلها تمر أمام عينى .. سكان الهند وسلالاتهم المختلفة .. اللغات التى يتحدثون بها .. النحل المتباينة التى يدينون بها ، والانتساب إلى شيع متعارضة .. النزاع الدائم بين المسلمين ، الذين تجاوزوا السبعين مليونًا والهندوس .. الطبقات التى تجاوزت أربعة وثمانين طبقة رئيسية التى ينقسم سكان الهند إليها ، وهى طبقات لاتزاوج بينها ، ولا يؤاكل فرد من إحدى الطبقات ، أى فرد من طبقة أخرى .. وخمس السكان من طبقة المنبوذين ، ويعاملون كأنهم طريدو المجتمع ، ولمسهم ومجرد نظرتهم أو خيالهم ينجس الهندوسى المحافظ .

• وكان من الضرورى أن توحد صفوف هذه الطبقات المتعادية ، ولابد من ثورة على التقاليد ، وجذب قلوب المجوس وهم تجار كلكوتا الأغنياء ، وضم صفوف الاتحادات التجارية ، والتقريب بين البراهمة والمنبوذين ، وبين الهندوس والمسلمين وبين المجوس وعمال المصانع الفقراء .

ـ لذلك كان من الضرورى ، أن أعكف على دراسة أحوال مواطنىَّ ، وبدأت بدعوى إلى اجتماع ، يلم الجالية الهندية فى بريتوريا ، والتى يتكون غالبيتها من التجار المسلمين . وكان هذا أول اجتماع من نوعه يتم فى جنوب أفريقيا .

• وتحدثت إليهم وناشدت أبناء وطنك ، أن يكونوا صادقين مخلصين فى أعمالهم ، وأن يذكروا واجبهم ومسئوليتهم ، نحو وطنهم الذى يمثلونه فى الغربة .

ـ وناشدتهم نسيان الفرقة ، والخلافات الدينية والطائفية ، والعادات المرذولة ، واقترحت إنشاء اتحاد ينظر فى مصالح الهنود وتحسين أحوالهم ، وعدت بأن أضع جهدى ووقتى الخالى فى خدمتهم .

★ ★ ★

(٧) غاندى .. عدالة وكفاح ومسئولية

• هل لنا أن نعرف موقف الجالية الهندية فى ترنسفال ؟

ـ لقد كان موقفها مهينا ، فكانوا يدفعون ضريبة باهظة ، ولا يسمح لهم باقتناء الأراضى إلا فى أطراف جرداء منعزلة ، وليس لهم حق الانتخاب ، ولا المشى على أرصفة الشوارع ، وغير مصرح لهم بالبقاء خارج دورهم بعد التاسعة مساء إلا بتصريح خاص .

• وبرغم أنك كنت تحمل تصريحًا بالتجوال فى أى وقت ، فقد هجم عليك وأنت فى الطريق جندى شرطة ، وجرك من الرصيف إلى عرض الشارع ، وقد شهد الواقعة أحد الإنجليز المعروفين ، واقترح عليك أن تذهب إلى قسم الشرطة لمعاقبة هذا الشرطى المتهور الذى لا يدقق فى عمله .

ـ ولكننى اعتذرت عن الشكوى ، لأننى كنت أتغاضى عن هفوات الآخرين ، وأترفع عن الانتقام منهم . وبدأت أجعل أخلاقى تطبع تصرفاتى فى العمل . وعلى سبيل المثال : قر فى ذهنى ، أن الحقيقة ثلاثة أرباع القانون ، وأن الصلح بين المتخاصمين ، خير من المثول أمام القضاء .

• على كلٍ هذا قد جعلك تستطيع ، أن تؤدى المهمة التى غادرت من أجلها وطنك وجئت إلى بريتوريا . تُرى ما هى هذه المهمة ؟

ـ هى قضية درستها جيدًا ، وتوجهت إلى محكمة ديريان وأنا ألبس الردنجوت والحذاء اللامع ، ووضعت على رأسى عمامة على النظام الهندى ، ولكننى فوجئت بالقاضى الإنجليزى المتعجرف ، يطلب منى أن أخلع العمامة ، ولكننى رفضت وخرجت غاضبًا من المحكمة .

- **ولكنك فكرت فى ارتداء القبعة الإنجليزية : ولكن موكلك « دادا عبد اللّه » طلب منك فى أدب ، ألا ترتدى هذه القبعة .. لماذا ؟**

ـ لأنه لايرتدى القبعة ، إلا الخدم والجرسونات وعمال الفنادق . على كل لقد كان هذا ، أحد مظاهر التفرقة العنصرية .. التى تكررت من قبل ، عندما كان معى تذكرة الدرجة الأولى بالقطار وكما سبق أن أوضحت .

- **على كل لقد اتخذت التفرقة العنصرية ، مظاهر عنيفة فى جنوب أفريقيا ، مما ضاعف كراهيتك لها .**

ـ بل لقد خلقت التفرقة العنصرية ، منى أنا الرجل الخجول . الذى تميز بالحياء الكامل ، رجلاً جريئا مقاومًا لكل لون من ألوان الظلم مهما كان قاسيًا وعنيفًا .

- **ما الذى تمَّ بخصوص قضية « دادا عبد اللّه » ؟**

ـ لقد لجأت لإجراء تسوية ودية بين موكلى وبين خصمه ، وذلك لتأكدى من عدالة القضية لصالح موكلى ، ولما كان المبلغ كبيرًا وممكن أن يؤدى إلى إفلاس هذا الخصم وهو تاجر ، فقد استطعت أن أقنع موكلى ، بأن يُجَزِّئ مبلغ الأربعين ألف جنيه إسترلينى ، على بضع سنوات ، وقبل الطرفان ذلك .

لقد كانت هذه القضية ، دافعًا لك لاعتناق مبدأ تسوية المنازعات بالوسائل السلمية ، والابتعاد ما أمكن عن حلبة الصراع أمام المحاكم ، مما كان يخلق الحقد ويشيع الكراهية بين طرفى النزاع . لقد أنهيت القضية صلحًا بين موكليك وخصومهم ، وعندما أزمعت العودة ، اضطررت إلى التوقف ، فى اللحظة الأخيرة فى الحفلة التى أقيمت لتوديعك .

ـ لقد جاءت الأنباء ساعتها ، بأن حكومة ناتال ، تعتزم إصدار إعلان ، يحرم على الهنود الترشيح والانتخاب ، واعتبرت هذا أول مسمار فى نعشنا ، وناشدت مواطنى أن يقاوموا الحكومة ، وأن يحولوا دون إصدار القرار .

- **غير أنهم أعربوا لك عن عجزهم مالم تكن أنت بينهم ، ورجوك أن تؤجل رحيلك شهرًا آخر ووافقت .**

ـ ولم أكن أدرى ساعتها ، أن ذلك الشهر سيستمر عشرين سنة .

★ ★ ★

٨ غاندى .. عطاء ونضال ومواجهة

● كيف بدات مرحلة النضال ؟

ـ وضعت صيغة احتجاج ترفع إلى الجمعية الوطنية ، وأخذ الهنود يفدون من كل مكان فى أثناء الليل لتوقيع عرائض الاحتجاج ، ونشرت الصحف أخبار الاحتجاج ، ومع ذلك أصرت الحكومة على إصدار القانون .

● وبلا تردد تابعت حركتك ، وحصلت على توقيعات عشرة آلاف مواطن ، وطبعت ووزعت عدة آلاف من عرائض الاحتجاج .

ـ وأيدت جريدة التايمز موقفنا نحن الهنود ، وذاع الخبر فى الهند كلها ، وعرفت الجماهير ما يعانيه أبناء جلدتهم فى جنوب أفريقيا .

● هل اكتفيت خلال تلك الفترة بالنضال لخدمة مواطنيك ؟

ـ لقد اشتغلت محاميًا ، أمام المحكمة العليا فى ناتال ، لأكسب رزقى ، ومضيت على طريق النضال لخدمة مواطنى ، وبعد ثلاث سنوات ، استطعت أن أحصل على إجازة للسفر إلى الهند ثم العودة بعدها بعائلتى .

● خلال إجازتك بالهند أخذت تزور المدن ، وتخالط المجتمعات وتتحدث وتوضح وتنشر فى الصحف .

ـ وأقابل العلماء والمفكرين والكتـاب فـى بلـدى ، وعقـدت اجتماعًـا كبيرًا فى بومباى .

- **واضطررت إلى قطع إجازتك فجأة ، حيث تلقيت برقية تدعوك إلـى العـودة فـورًا . فعـدت ومعـك زوجتـك وأولادك ، فـى نوفمبر سنة ١٨٩٦**

ـ وعندما وصلت إلى «دوريان» هاجمتنى عصابة من الأوروبيين المستوطنين ، الذين هالهم نشاطى وتحـدىّ سلطاتهم ، وانهـالوا علىّ ضربًا وركلاً حتى أوشكوا أن يقتلونى .

- **لـولا أن سـيدة انجليزيـة شـجاعة ، تدخلـت وأبعدت عنـك المتـآمرين ، ومـا إن ذاع خبر هذا الاعتداء المؤسـف ، حتـى نشرته الصحف ، وتدخل وزير المستعمرات ، وأبـرق يطلـب القبض على المعتدين .**

ـ ولكننى رفضت مقاضاتهم ، وقلت إنهم لا يعرفـون الحقيقـة ، ولو عرفوها وأدركوا خطأهم ، فسوف يتألمون كثيرًا .

- **عندما نشبت حـرب البوير عام ١٨٩٩ ، الذين كانـوا يحـاربون من أجـل حريتهم ، وكـانت مشـاعرك معهم ، أثـرت الدهشـة حينمـا دعـوت الجاليـة الهنديـة إلـى الوقـوف والتعـاون مـع الإنجليز .**

ـ بل قمت بتنظيم وتدريب لواء هندى قوامـه ١١٠٠ رجـل ، قـاموا بالأعمال التى عهدت بها إليهم بجد وإخلاص . وللمرة الأولـى أجـد جماعة كبيرة من الهنود ، من جميع الطوائف والمستويات ، تقف صفـًا

واحدًا فى مواجهة الخطر ، ويؤدون عملهم بإخلاص ، ترفعًا عن عوامل الفرقة والخلاف ، متبرعين بسيارات إسعاف للصليب الأحمر البريطانى ، ومتطوعين للقيام بتمريض الجرجى .. مع الأسف الشديد ، كان عندى أمل ، أن تقدر انجلترا موقف الهنود ، فى ساعات الشدة والخطر .

- **لقد عدت إلى الهند سنة ١٩٠١ بعد انتهاء حرب البوير ، ووافق وصولك انعقاد المجلس الوطنى الهندى فى كلكتا .**

ـ لقد لاحظت أن السياسيين الهنود ، يتكلمون كثيرًا ولا يعملون شيئًا ، وأنهم يستخدمون اللغة الإنجليزية فى مناقشاتهم .

- **لقد كنت لا تعمل بالسياسة وحدها ، وإنما كنت معنيًا بعلاج المشاكل ، ومواجهة الأمراض الاجتماعية .**

ـ حتى إنه عند اجتياح الطاعون بعض المدن ، كنت أهرع إلى مواقع الإصابات ، وأدعو إلى مقاومة المرض وإنقاذ المصابين ، وعندما لاحظت أن عربات الدرجة الثانية بالسكة الحديدية ، فى حالة قذارة شديدة ، دون غيرها من درجات القطار ، بسبب إهمال العاملين فيها من ناحية ، وسوء تصرفات الركاب من ناحية أخرى ، كنت أناشد الشباب المتعلّم ، أن ينبهوا مواطنيهم إلى أهمية النظافة وإلى ضرورة القيام بواجباتهم ، إذا ما أرادوا الحصول على حقوقهم ، وأن يستخدموا الدرجة الثالثة .

- **حتى إنه عندما سئلت ، لماذا تركب الدرجة الثالثة ، أجبت لأنه لا توجد درجة رابعة .**

ـ المهم لقد تسلمت برقية من ناتال ، تدعونى إلى الحضور على الفور .

● **ولما كنت قد وعدت مواطنيك ، بالاستجابة إلى دعوتهم إذا ما استدعى الأمر ...**

ـ لذلك تركت أسرتى فى الهند ، وأبحرت إلى جنوب أفريقيا ، وكانت المهمة الموكولة إلىّ فى هذه المرة أن أتقدم بعرض القضية ، على وزير المستعمرات « جوزيف تشمبرلن » الذى كان يقوم بزيارة المنطقة .

● **ولكن مع الأسف الوزير البريطانى كان قد تلقى ٣٥ مليون جنيه استرلينى ، منحة من البيض ، فلم يلتفت إلى طلبات مواطنيك من الهنود .**

ـ لذلك قررت البقاء ، لمناهضة السيطرة الإنجليزية ، ودفع الظلم عن أبناء جلدتى ، واتخذت لى خطة جديدة ، على تاريخ حركات النضال المألوفة .

● **ترى ما هى تلك الخطة ؟**

ـ أن أناضل بلا حقد ، حتى أننى لم أتوان عن نجدة خصمى ، إذا وقع فى شر . لقد كنت أجمع فى آن واحد ، مناضلة المعتدين .. بدون كراهية لهم . لقد رأيت أن الهند محمية تابعة للإمبراطوريه البريطانية ، ولذا يجب أن يقف الهنود إلى جانبها ، وبخاصة فى أثناء الأزمات .

● **وبناء على ذلك طلبت من الهنود ، أن يعاونوا بريطانيا فى حربها ضد البوير .**

ـ وفى حربها ضد الزولو أيضا . ومع ذلك كنت مع لواء الإنقاذ الذى توليت قيادته ، أسرع إلى إنقاذ المصابين من المعسكرين .

● **لقد نذرت نفسك للّه وللإنسانية ، وقلت فلتفعل القوة الغاشمة ما تشاء وعليكم أن تتحملوا .**

ـ لقد قننت خطتى الجديدة ، والتى تتلخص فى العصيان المدنى « المقاومة السلبية » ثم أطلقت شعارًا جديدًا «ستايا جراها » ، ومعناها الثبات على الحق ..

● **ماذا تعنى رسالة « أهمسا » ؟**

ـ رسالة أهمسا تعنى عدم العنف أى المقاومة السلبية .. أهمسا هى دعوة إلى المحبة وفعل الخير حتى مع الأشرار .. هى اللاتعاون : أى معارضة الحكومة وعدم الانصياع لنظمها وأوامرها ، دون الالتجاء إلى أى نوع من أنواع القوة . لقد كنت أرى أن القوة الحقيقية ، هى قوة الحق وبلا عنف ، كما كنت أوصى بعدم الإذعان للأوامر المجحفة ، وعدم التعاون مع الحكومة الظالمة ، والصبر على الأذى ، وتحمل المكاره ، وضبط النفس عن الهوى .

● **على كل يا مسيو (غاندى) ، لقد كان لك فى مراحل نضالك بجنوب أفريقيا الكثير من المواقف ، ويا حبذا لو عرفتنا بما حدث ، حين أصدرت حكومة ترنسفال قرارًا بأن يسجل الهنود صحيفة سوابق تؤخذ عليها بصماتهم ؟**

ـ لقد عارضت صحيفة السوابق هذه ، فلم تكن تؤخذ بصمات غير المجرمين ، وحثثت الهنود على عدم الانصياع لهذا القرار .

• **وكان رد الحكومة ، الحكم بسجنك أنت وعدد من مؤيديك ، وفى سجنك تلقيت من الجنرال سمطس ، وعدًا بإلغاء هذا القرار ، إذا ما توجه الهنود من تلقاء أنفسهم لإجراء التسجيل .**

ـ وبالرغم من موافقتى ، إلا أن سمطس لم ينفذ وعده ، وعدت إلى دعوة العصيان ، وامتلأت السجون بمئات الهنود وأنا فى مقدمتهم طبعًا ، وفى السجن كنت أكثر من الصلاة والقراءة والتفكير فى شئون بلدى ومواطنيه .

• **أعتقد أن المرأة الهندية دخلت طريق النضال ، تُرى ما الذى أدخلها ؟**

ـ الحكم الذى أصدرته المحكمة العليا فى جنوب أفريقيا ، فقد أصدرت حكمًا ببطلان جميع الزيجات ، التى لم تتم وفقًا للطقوس المسيحية . ومعنى ذلك أن كل زواج آخر صار باطلاً ، وكل زوجة أصبحت طالقا ، وفى مقدمتهن بالطبع زوجتى كاسترباى . بل معنى هذا أيضًا ، أن جميع الأبناء الهنود غير شرعيين ، وأن جميع زوجات الهنود ، يعتبرن نسوة ساقطات .

• **وبالطبع كان رد الفعل من جانب غير المسيحيين عنيفًا ، فقام عمال المناجم بإضراب شامل ، ترتب عليه أن توقفت المناجم عن الإنتاج ، فقبضت الحكومة عليك ، وفرضت عليك إدارة السجن ، قطع الأحجار وتنظيف الأرض .**

ـ وصدر قرار نقلى إلى سجن بريتوريا ، حيث أودعت إحدى الغرف المظلمة الشديدة الضيق ، وفى نفس الوقت ، قيدوا يدى ورجلى بقيود حديدية .

● **لقد ثار الرأى العام فى الهند ، وخافت الحكومة سوء العاقبة وأوفدت لجنة للتحقيق ، ترتب على إثرها إطلاق سراحك .**

ـ إطلاق سراحى لم يكن سهلاً ، فقد كان غير مصرح للهنود ، بعبور الحدود من ترنسفال إلى ناتال أو العكس ، ولكن النساء عبرن الحدود بلا تصريح ، وحرضن عمال المناجم على الإضراب ، ونجحت مهمتهن . ولكن الحكومة أودعتهن السجون .

وتحركت جموع الهنود وقد احتدمت ثائرتهم ، وقرروا السير إلى حدود ترنسفال معلنين العصيان ، وقبضت السلطات علىّ ، لكن الحركة انتشرت وعمت البلاد ، وأضرب خمسون ألفًا ، وقبض على عدة آلاف ، وأودعوا السجن ، وأطلقت النيران ، وأزهقت الأرواح .

● **وأخيرًا اضطر الجنرال سمطس ، إلى تعديل قرار حكومته الباغية أمام المقاومة السلمية ، وتم إلغاء الضريبة المفترضة وقدرها ثلاثة جنيهات ، كما ألغى القانون الخاص بعدم شرعية الزواج . وتقديرًا منك لتعديل سمطس قرار الحكومة قمت بإهداء الجنرال زوجًا من الصنادل ، صنعتهما بيديك فى فترة سجنك يا مهاتما (غاندى) .**

ـ هل تعرف معنى كلمة «المهاتما » التى أشتهرت بها ؟

● **معناها الروح العظيم ، لقد وصفك الشاعر طاغور بأنك روحًا عظيمة فى أثمال طالب إحسان ، وأنك رمز كفاح الهند ووسيلتك ..**

ـ العصيان والإضراب وإعلان الحداد العام ، وإغلاق المتاجر ووقف الأعمال .

* * *

(٩) غاندى .. العودة إلى الهند والمقاومة

● متى عدت من جنوب أفريقيا إلى الهند ؟

ـ فى ٩ يناير سنة ١٩١٥ ، وعدت إليها مع زوجتى كاستورباى ، وكانت شهرتى فى الهند ، قاصرة على بومباى ومدراس وكلكتا ، فقد كان معظم الهنود الذين يقيمون فى جنوب أفريقيا ، موطنهم الأصلى هذه المناطق المحدودة من الهند . وبالطبع إقامتى فى جنوب أفريقيا طويلاً ، أدى بى إلى أن أجهل الهند ، لذلك صممت على أن أجول فى الهند ، وظللت متجولاً لمدة عام .

● هل لنا أن نعرف الأهداف التى ناديت بها ؟

ـ أربعة أهداف مهمة .. أولها عدم التعاون مع بريطانيا ، فى كل النواحى التجارية والاقتصادية ، ومحاربة الآلة لأنها تستعبد الإنسان . ومحاربة الجسد فى الحدود التى لا غنى عنه فيها دون سيطرة على الروح . وأخيرًا ليست العبرة بمن يحكم ، ولكن بكيفية الحكم .

● على كلٍ لقد طالبت الهنود ، بالإفادة من مزايا الإنجليز وعلمهم ، وكثيرًا ما أوضحت أنك لاتكره الإنجليز ، وإن كنت تكره قسوتهم .

ـ على كلٍ بعد أن عدت إلى الهند ، بفضلى عم الإضراب الهند كلها ، يستوى فى ذلك المسلمون والهندوس ، الذين كانوا

يشكلون وحدة صلبة . ولما أردت دخول البنجاب ، منعنى الإنجليز وسجنونى ، وهاجت الجماهير معلنة احتجاجها ، وحدثت عدة مصادمات دامية .

- **ولكنك عندما علمت بمصرع ضابط شرطة ، استنكرت العدوان ، وقررت الصيام ثلاثة أيام حتى يمتنع استخدام العنف .**

ـ وفى ١٣ أبريل ١٩١٩ حدثت مذبحة فى « أحمد أباد » فقد أطلقت السلطات البريطانية ، النار على الجماهير العزل ، فسقط ١٢٠٠ قتيل و ٣٦٠٠ جريح . وبعدها صدر قانون فى البنجاب يمنع التجمهر ويهدد بضرب المتظاهرين والقبض عليهم ، وعدم السماح للهنود بعبور الشارع إلا زحفاً على أرجلهم وأيديهم .

- **لذلك أطلق على ذلك اليوم ، اليوم الأسود فى حكم بريطانيا .**

ـ الحقيقة أننا اعتبرنا هذا اليوم ، يوم التحول فى تاريخ نضال الهند ، وتلقت بريطانيا ازدراء الرأى العام العالمى ، وإصرار الهنود على استمرار المقاومة .

- **وأصبحت من يومها يا مسيو (غاندى) ، صاحب الدور الأكبر على مسرح كفاح الهند ، ضد الإمبريالية البريطانية .**

ـ لقد أعلنت فى المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى دلهى سنة ١٩١٩ ، أننى لا أستطيع أن أدين بالاحترام والتقدير ، لحكومة تقترف جريرة بعد جريرة لكى تستر رذائلها ، وكان هذا بمثابة إعلان بعدم التعاون مع الحكومة البريطانية .

- **لقد ألهبت بذلك مشاعر كل هندى ، وفتحت أبواب الثورة ، فترك المحامون مكاتبهم ، والطلبة معاهدهم ، ليجوبوا الريف ،**

ويطلبون من الفلاحين عدم التعاون ، ويبثون روح المقاومة والشجاعة والتضحية .. وأعاد الهنود إلى الحكومة البريطانية أوسمتها وشهاداتها وكنت أنت أولهم .

ـ وتحركت النساء فى مظاهرات ضخمة ، واتهمت بالتحريض على مقاومة السلطات ، ومثلت أمام القاضى الإنجليزى .

- **وقلت ببساطة ورقة ، ليس فى نفسك أى حقد شخصى على أى مسئول رسمى ، حتى الملك نفسه ، ولكنك لا ترتضى حكومة تتآمر على أمتك ، وتذيقها ويلات الظلم والهوان ، وليس أمام القاضى سوى أحد أمرين :**

ـ إما أن يتخلى عن وظيفته ، فينجو بنفسه من الإثم والضلال ، ويحكم بأننى غير مذنب ... وإما أنه موافق على الأنظمة والأحكام الجارية ، فيحكم علىّ بأشد عقوبة .

- **لقد كنت فى نظر القانون ، مذنبًا وخارجًا على القانون ، ولكن حينما دخلت إلى ساحة المحكمة ، وقفت المحكمة إجلالاً لك ، وقدم لك القاضى أسمى آيات الاحترام ، وبعد أن أصدر حكمه بسجنك ٦ سنوات .**

ـ قال لى لا أستطيع أن أمسك عن القول ، بأنك من طراز مختلف عن أى إنسان بحثت قضيته ، أو من عسى أن أتناول قضيته ، وختم حيثياته : « وإذا هدأت الخواطر ، وقررت الحكومة تخفيض العقوبة عنك أو إلغاءها ، فلن يكون هناك من هو أسعد منى » .

★ ★ ★

١٠ غاندى ... من السجن إلى المستشفى

● ماذا كان يعنى السجن فى حياتك ؟

ـ كان يعنى المزيد من الصلاة والدراسة والغزل ، لقد كان شغلى الشاغل خلال السنوات الخمس التالية ضرورة استمرار الوحدة بين الهندوس والمسلمين ودعمها ، لقد كنت أرى أن الهند ليست بحاجة إلى الحرية السياسية فحسب ، ولكن كانت حاجتها أشد ، إلى الحرية الاجتماعية والحرية الاقتصادية .

● على كلٍ يا مسيو (غاندى) نحن لا نغفل ، أنه بعد أن حكم بسجنك ٦ سنوات ، قد مرضت وأنت فى السجن مرضًا خطيرًا ، تم نقلك على إثره إلى المستشفى فى بوتا ، وأجريت لك عملية جراحية . واشتد عليك القلق ووفد عليك المواطنون من جميع أنحاء الهند ليطمئنوا عليك ، وبالرغم من أنك وأنت بالمستشفى كنت سجينًا ، إلا أنهم أذنوا لك برؤية عدد محدود منهم .

ـ على كلٍ بعد أن شفيت لم أعد إلى السجن ، فقد أعفتنى الحكومة من بقية المدة المحكوم علىّ بها ، وهى أربع سنين من الست التى صدر بها الحكم .

● ولما كان مرضك يؤثر فى كل شعب الهند ، فياليتنا نعرف يوم نقلت فى ليل ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ من السجن إلى المستشفى ، لإصابتك بالتهاب الزائدة الدودية ماذا حدث ؟

ـ لقد أبلغنى الجراح البريطانى ، بضرورة عمل العملية فورًا ، ودون انتظار وصول الأطباء الهنود من بومباى . فوافقت بلا تردد .

● **وبينما كانت حجرة العمليات تجهز ، استدعيت صديقين وأمليتهما نشرة تذاع على الناس ، بأنك وافقت على إجراء الجراحة ، وأنه مهما كانت نتيجة العملية ، فلا ينبغى أن يقوم بسببها شغب ضد الحكومة .**

ـ وأعطيت الكلوروفورم ، والتقطت لى صورة ، ثم بدأت العملية ، وفجأة قطع تيار الكهرباء عن المستشفى ، فاستأنفها الجراح على ضوء مشعل يدوى ، كانت تحمله إحدى الممرضات ، ولكنه فرغ وانطفأ ، فأتم الجراح العملية على ضوء لمبة جاز .

● **ونجحت الجراحة وتوجهت إلى الجراح بالشكر الجزيل .**

ـ ولكن خراجا تكون فى موضع الجرح ، وظل تقدمى نحو الشفاء بطيئا جدًّا ، فرأت الحكومة البريطانية ، أن من الخير لها أن تطلق سراحى ، حتى لا أموت ، فأخلى سبيلى فى ٥ فبراير سنة ١٩٢٤

● **لقد كان همك بعد أن خرجت ، من السجن والمرض والجراحة حيًّا ، أن يبقى الجميع أعضاء فى المؤتمر الهندى العام ، فلا يتصدع كيانه .**

ـ لقد كان همى الحقيقى ، وحدة الهندوس والمسلمين ، لذلك حاولت تنقية الجو بينهما وإعادة الوفاق .

★ ★ ★

١١

غاندى .. ومحاولاته لوحدة الهندوس والمسلمين

• تُرى ما هى الأسباب الحقيقية للشقاق والشغب بين الهندوس والمسلمين ؟

ـ الحقيقة أن كثرة الشقاق والشغب ، كان سببه ثورة الهندوس من ذبح البقر بأيدى المسلمين . فأنا مع إصرارى على حماية البقر ، من الذبح لاعتبار دينى ، فكنت لا أرى معنى لاستنكار ذلك ، والثورة له حين يقترفه المسلمون . فى حين لا نحرك ساكنًا ، لذلك البقر الذى يذبحه الإنجليز فى كل يوم ، واعتبرت كل شغب يقوم بسبب ذبح المسلمين للبقر ، إنما هو جهد باطل وكلام فارغ . ومن المؤسف أنه أراق دماء إخوة وأثار الأحقاد والنار .

• من المؤسف أن معظم البقر الذى يذبح ، إنما باعه للجزارين المسلمين ، فلاحون هندوس .

ـ ولو بحثنا الحقيقة ، لوجدنا أن الهندوس هم الذين يثيرون المسلمين بموسيقى مواكبهم الدينية التى يضجون بها أمام المساجد الإسلامية وقت الصلاة .. أليس هذا مخجلاً حقًّا ؟

• على كلٍ كان الأمل فى تحقيق الوحدة أن يختار الأكفأ للوظيفة بصرف النظر عن دينه وملته ، تلك هى الوحدة القومية بمعناها الصحيح حقًّا ، وأعتقد أن هذا كان رأيك أيضًا .

ـ ومع ذلك ظلت الفرقة سائدة بين الهندوس والمسلمين ، واتهمت بأننى ضالع مع المسلمين .

● مهاتما (غاندى) .. ما هى الأسباب التى أدت لمهاجمة الهندوس لك ؟

ـ يبدو أنك تريد أن تعرف حقيقة موضوع الكلاب الضالة .

الموضوع باختصار يتلخص فى أن صاحب مصانع واسعة فى « أحمد أباد » ترك الكلاب الضالة تجوس خلال مصانعه حتى كثرت ، فاضطر إلى الفتك بها ، وكان عددها ستين كلبًا شريدًا .

وأحس الرجل بعدها بفعلته ، لأنه هندوسى والهندوسية تقدس الحياة فى جميع الأحياء بلا استثناء .

● وجاء إليك قاصدًا ، يسألك الفتوى فى الأمر .

ـ فقلت له وماذا تعمل غير ذلك ؟ وكأننى ألقيت قنبلة .. لقد أرسلت إلىّ جمعية الرعاية الإنسانية خطابًا ، تستجوبنى وتستنكر صدور هذا التصريح منى .. وانهالت علىّ خطابات الاستنكار .. وحضر إلىّ البعض فسفهونى وسبونى .. وتعرضت لأحط الحملات ولم أغضب ، وحاولت أن أناقشهم بهدوء وصبر ـ لقد تساءلت ، هل نترك الكلاب المسعورة ، تعض كلابًا سليمة وناسًا من البشر ، فتصيبهم بالسعار ؟

● وأكدت أنه لم يكن أمام صاحب المصنع ، سوى قتل الكلاب المسعورة ، فالضرورات تبيح المحظورات .

ـ بل لقد اتخذت من غضبهم للكلاب الضالة التى قتلت ، حجة على الهندوس فى قتل المسلمين .. بل لقد تساءلت عن هؤلاء الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها ، لقتل ستين كلبًا ضالاً مسعورًا ... هل لو كان القتلى ، ستين مسلمًا أو انجليزيًا ، كانوا قد تألموا لمقتلهم ؟

● بالطبع وصلتك عشرات الألوف من الرسائل تدل كلها على غضب جامح وأفق ضيق .

ـ لقد ظلت الرسائل ترد إلىّ على مدى أربعة أشهر تباعا ، وما إن هدأت زوبعة الكلاب الشهيرة ، حتى قامت زوبعة أكبر وأعنف .

● لقد كان ذلك فى العام الذى نذرته للصمت عن السياسة ، وحسبته عام هدوء وانسجام .. تُرى ما الذى حدث ؟

ـ لقد كان هناك عجلة صغيرة مريضة ، حاولت علاجها بنفسى وأنا فى صومعتى ، ولكن حالة البقرة الصغيرة ساءت ، وآلامها كانت مبرحة ، ووضح أنها تحتضر ، فرققت لحالها ، وأمرت أن تقتل لتتخلّص من آلامها . فحقنها الطبيب بمادة ، أسكتت حركتها إلى الأبد .

● وعادت الاحتجاجات تنهمر ، وعدت تدافع عن مسلكك بشجاعة ، فى موضوع هو أحرج موضوع يتصل بالهندوسية .

ـ مع الأسف موضوع ذبح بقرة أو إعدام كلب ، كان سببًا فى نشوب مذابح بين الهندوس والمسلمين .

● **لوحاولنا تلخيص الأسباب ، التى أدت الى سوء العلاقة بين المسلمين والهندوس .**

ـ كلها أشياء كان يمكن تلافيها بشىء من التفاهم والتراضى والتسامح ، لولا أصابع الإنجليز ودسائسهم ، وعملهم على تقوية النزاع . لقد كان من أكبر أسباب الشقاق ، تضحية المسلمين بالبقر ، أو وجود الموسيقى والأغانى ودق الأجراس فى الهياكل الهندية التى قد تكون قريبة من مساجد المسلمين .

● **لقد أفاد الرجعيون من المسلمين والهندوس ، وكذلك أفاد الإنجليز من هذا الشقاق ، فعملوا على إضعاف الحركة الوطنية بتفريق الصفوف .**

ـ الحديث عن الإنجليز وما عملوه فى الهند شرحه يطول .

● **لذلك سوف نتناول بعض الأحداث المهمة .**

ـ مثل حادث الملح .

* * *

(١٢) غاندى .. كيف استغل الملح كوسيلة للتمرد على الاستعمار

● حقًّا ما الذى دفعك يا مهاتما (غاندى) ، لأن تمشى وفى معيتك ٨٧ ألف (٨٧٠٠٠) شخص من المخلصين رجالاً ونساء ، برغم أن عمرك قد زاد على السبعين .... تُرى إلى أين كنت ذاهبًا ومتى ؟

ـ بادئ ذى بدء .. لابد أن تعرف أن الحكومة الهندية ، كانت فى استغلالها الإمبراطورى تحتكر صناعة الملح ، وهو إدام أو تابل يحتاج إليه كل فرد . فالكسب عظيم منه ، والضرورة تكفل رواجه الدائم . ولقد رأيت أن الفرصة مواتية ، ويجب أن تستغل لتحريك التمرد على الاستعمار ، وتجرئة الشعب الهندى على عصيان القوانين والأخذ بالشجاعة ، فدعوت إلى مظاهرة شعبية ، تبدأ من معتكفى حيث كنت أقيم ، إلى شاطئ البحر حيث الملاحات الحكومية . لقد كان ذلك فى ١٢ مارس سنة ١٩٣٠ وبدأت المسيرة التى ظلت ٢٤ يومًا على شاطئ البحر قطعنا فيها مسافة ٣٢٠ كيلومترًا ووصلت مع أصحابى فى ٦ أبريل إلى الشاطئ لمدينة داندتى ، وبعد أن صليت مع رفاقى ، أخذت فى يدى حفنة من الملح مما تدفعه الأمواج ، إيذانا بعدم الرضوخ للأحكام الإنجليزية الجائرة واتخذنا أول قرار يختص بضرورة الاستيلاء على مستودعات الملح بمدينة دار سانا .

● **وبهذه الحركة البسيطة التى بدأتها ومعك ٨٧٠٠٠ شخص ، تحركت الجموع وتتابعت المسيرات على الشاطئ ، وامتدت آلاف الأيادى تأخذ الملح وتكسر القانون .**

ـ لقد كان رد فعل ذلك ، أن السلطات البريطانية كافحت هذه المظاهرة بكل الوسائل ، ووجدوا ـ مع الأسف ـ من الهنود أنفسهم ، من أيدهم ، فمنعوا القطارات من السفر إلى الشاطئ ، ومنعوا الخطابات ، وعطلوا الصحف وراقبوها ، وأوفدوا رجال الشرطة والجيش ، يحمل كل فرد منهم هراوة ضخمة ، ثم انهالوا على المتظاهرين بالضرب ، حتى تحطمت الرءوس والأجسام ، وخضبت الأرض بالدماء ، وألقوا القبض علىّ .

● **باعتبارك رأس الفتنة ، وداعية العصيان .**

ـ لقد نقلت السلطات البريطانية ، مايزيد على مائة ألف رجل وامرأة ، إلى المعتقلات والسجون خلال أسابيع .

● **ولكن حكومة العمال ـ فى انجلترا ـ واجهت معارضة صاخبة ، واضطر « راساى ماكدونالد » رئيس الوزارة البريطانية ، أن يعد فى مجلس العموم ، بأن يغير الموقف ويحقق تحسنًا فى العلاقات ، خلال مؤتمر المائدة المستديرة .**

ـ وصدر الأمر بالإفراج عنى ، وعن كثيرين من المعتقلين . وجرت مباحثاتى مع أروين فى أغسطس ، واستطعت التباحث ندًّا لند ،

مع نائب الملك ، ثم أبحرت بعدها إلى انجلترا ، لحضور مؤتمر المائدة المستديرة .

• أعتقد أنك مررت بمصر ، وأنت فى طريقك إلى المؤتمر ، واستقبلك الشعب المصرى فى السويس بالترحيب والهتاف .

ـ لقد كنت من المعجبين بنهضة مصر وثورة ١٩١٩ وزعامة سعد زغلول ، وقلت لمستقبلىّ إننى كنت أترسم خطوات الثورة ، وأؤيد كفاح شعب مصر ، من أجل الحرية والاستقلال .

• المهم أنك توجهت إلى المؤتمر ، وعدت خالى الوفاض .

ـ على كلٍ لقد اعتبرت أن رحلتى حققت نتائج طيبة ، فقد سلطت علىّ الأضواء ، وكتبت عنى الأقلام ، وظهرت للشعب الإنجليزى وللعالم صورتى الحقيقية ، وحق بلدى فى الحياة والحرية .

• ورأوا فيك أقوى وأشجع وأنظف خصم لبريطانيا العظمى .

ـ وعدت إلى الهند ، بعد غيبة ثلاثة أشهر فى انجلترا ثم سويسرا ، ووجدت ـ مع الأسف ـ أن الاتفاق الذى أبرمته مع أروين نائب الملك السابق ، قد ألغاه نائب الملك اللاحق ، وأن الهند عادت تحكم بيد من حديد ، تتمثل فى الأوامر التحكمية وإطلاق النار على الجموع والسجن بالجملة .

• حتى جواهر لآل نهرو ، كان فى طريقه لاستقبالك أيها الزعيم العائد فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وكان ذلك فى أواخر ديسمبر ١٩٣١

ـ وأودعونى السجن ، الذى ظللت مشغولا فيه بما اتخذته الحكومة البريطانية من قرارات ، خلاصتها أن تُضَمِّن دستور الهند الجديد ، فقرة تكلف الهند وحدتها وتمزقها شيعًا ، بين مسلمين وهندوس ومنبوذين ، وتثير نار الفرقة الشعواء .

● **وكان هذا يعنى ، القضاء على وحدة الهند وتمزيق الأمة . تُرى ماذا فعلت أيها الروح العظيم (غاندى) ، أمام هذه النكبة المتوقعة ؟**

ـ لقد أبرقت إلى ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا بقرارى ، بأننى سأصوم حتى الموت .

● **وقامت القيامة فى الهند ، وبعث إليك الشاعر طاغور قائلا : « أى تضحية عظمى لحياة غالية من أجل وحدة الهند واجتماع شعبها .. إننا بقلوبنا الكسيرة ، نتابع حزنك النبيل بالاحترام والحب » .**

ـ لقد كانت كلمات طاغور تعبر عن مشاعر الأمة التى انتفضت وانطلقت فى الشوارع . وعدلت بريطانيا عن قرارها مرغمة ، وعدلت أنا عن صومى هادئًا .

* * *

١٣
غاندى .. بين فرحة الاستقلال وأحزان ضياع وحدة الأمة

● **ماذا كان شعورك من الحرب العالمية الثانية ؟**

ـ لقد كنت أكره النازية ، ومشاعرى مع الحلفاء ، ورأيى دائما فى الحرب أيًّا كانت هى خطأ فادح ، وكثيرًا ما سألت نفسى متعجبًا ، كيف تحارب انجلترا من أجل الحرية ، وتطلب تأييد الهند ومساعدتها ، ثم تأبى على الهند الحرية ؟

● **أعتقد أن الفرصة واتت الهند ، للانتقام من بريطانيا وهى متعثرة فى وحل الحرب .**

ـ لم يكن هدفنا أن نحصل على استقلالنا بدمار بريطانيا ، بل حقيقة نوايا بريطانيا ، حين وجدنا القوات اليابانية قد تقدمت نحو حدود الهند ، ولم تتحرك لمساعدتنا .

● **أعتقد أن ما أثار سخطكم بالهند ، هو ما تبينتموه من أن انجلترا ، ليس لها رغبة فى منع الخطر عن الهند .**

ـ بل من المؤسف أيضًا ، أنها لم تكن راضية ، أن تعطى الهند حق الدفاع عن أرضها . لذلك كان من الضرورى ، أن نطلب من بريطانيا أن تخرج من الهند .

● **وأوضحت لهم بأنكم لاتعادون الشعب البريطانى ، ولكنكم تعادون الإمبريالية . وأن قولكم بضرورة سحب القوات البريطانية**

من الهند وإنهاء الاحتلال ، لايصدر بدافع الغضب والعداء ، ولكنه جاء من حق الهند الطبيعى فى الدفاع عن نفسها .

ـ لقد كان نتيجة طلبنا لحقّنا المشروع ، أن تم القبض علىّ ومعى عدد من زعماء المؤتمر . وانفجر البركان ، وحدثت اضطرابات ومصادمات قابلتها السلطة بقوة السلاح ، وأصبحت الهند تمامًا تحت الاحتلال العسكرى المسلح .

وأودعونى قصر أغاخان قرب بوتا ، واعتبرنى الإنجليز رأس المسئولين ، عن الهياج الذى اجتاح الهند ، ولكننى رحت أتبادل الرسائل مع الحكومة ، وأعلنت الصيام ٢١ يوما ابتداء من ١٠ فبراير سنة ١٩٤٣ .

● ماذا حدث فى أثناء سجنك ؟

ـ ماتت زوجتى كاسترباى ، ومات سكرتيرى ورفيق نضالى «ماهادى ديزيا » وهاجت الجماهير وهددت ، وثار الرأى العام العالمى .

● حتى اضطرت السلطات إلى إخلاء سبيلك .

ـ فخرجت مريضًا واهيًا جسديًّا ، ولكن روحى كانت قوية ، فلم أكف عن التفكير والتدبير والنصح والإرشاد .

● أعتقد أن هذه الفترة كانت قاسية ، شاعت فيها المجاعات وعمت الاضطرابات ، وازدادت الحالة سوءًا وتدهورًا .

ـ وسقطت الوزارة فى إنجلترا سنة ١٩٤٥ ، وعين أتلى رئيسًا للوزراء ، وحاول أن يلائم بين سياسة سابقه تشرشل ، القائمة على الحديد والنار ، وسياسة الاستسلام التى تعنى الجلاء عن الهند .

• **فقرر رئيس الوزراء أتلى ، إقامة حكومة هندية تحكم الهند .**

ـ وأوفدت الحكومة البريطانية ،لجنة وزارية لتبحث مع زعماء الهند ، الصورة الملائمة لمستقبل الحكم فى الهند ، كدولة متحدة مستقلة .

• **غير أن الجهود أخفقت ، فى الجمع بين المسلمين والهندوس ، وبالطبع كانت بريطانيا وراء ذلك الخلاف .**

ـ على كلٍ ففى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٦ ، دعا نائب الملك ، جواهر لال نهرو ، لتشكيل أول وزارة هندية . ويومها ـ مع الأسف ـ أعلن محمد على جناح فى البنغال ، مولد دولة جديدة منفصلة عن الهند ، هى باكستان . وتكونت دولتا الهند وباكستان فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ .

• **حقًّا جاء الاستقلال ، ولكن ضاعت وحدة الأمة .**

ـ لقد جبت القرى قرية قرية ، مناشدًا الجماهير مسلمين وهندوس ، أناشدهم الإيمان والأمل والمحبة . لقد كان عمرى ٧٧ سنة ، ولم أكن قادرًا على شىء ، ونذرت نفسى للصوم والصلاة ، فكنت أتحرك من ساحة إلى ساحة ، حيث تتوافد ألوف المواطنين يؤدون معى الصلاة فى العراء .

• **وفى يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ جاءت النهاية ، حين تقدم بالقرب منك شاب هندى آثم معتوه ، وأفرغ رصاص مسدسه فى قلبك ، ولفظت آخر أنفاسك .**

ـ لقد كنت ساعتها أؤم جموعا حاشدة ، تصلى معى فى إحدى ساحات نيودلهى . لقد نذرت حياتى للهنـد ، فانتزعهـا منـى فتـى هندى .. مواطن هندى .

- **أستأذنك أن نؤجل حوارنـا عن وفـاتك ، لحيـن الحديـث عن اغتيالك ومراسم جنازتك وطقوسها .**

ـ أمازال فى حوارك بقية .

- **بـالطبع .. أستأذنك أن يتضمـن حوارنـا ملامـح شـخصيتك وأسلوب حياتك .**

★ ★ ★

١٤
غاندى .. ملامح شخصية وأسلوب حياة

ـ كان أسلوب حياتى غاية فى البساطة ، فغذائى الرئيسى الموز والليمون والتمر وقليل من الأرز ولبن الماعز ، كنت لا أتعاطى المشروبات الكحولية ولا أشرب القهوة والشاى . لقد كنت قصير القامة نحيلاً هزيلاً ، ذا أذنين كبيرتين منفرجتين ، وعينين سوداوين واسعتين ، حتى أننى حينما كنت أريد أن ألقى خطابًا فى جمع حاشد ، أرتقى كرسيًّا ليتمكنوا من رؤيتى . لقد كنت ألقى خطبى فى هدوء واتزان خاليًا من الانفعال ، أتحاشى الزخارف البلاغية والإثارة العاطفية . لقد كنت أخاطب عقول مستمعىّ ، ولا أترك الموضوع الذى أتناوله إلا بعد أن أجلو غوامضه .

● **ماذا تعلمت من عادات وأنت فى جنوب أفريقيا ؟**

ـ أن أغسل ملابسى بنفسى وأكويها ، وأقص شعرى بنفسى ، وأن أنظف الأطباق التى أستخدمها فى طعامى ، كما اكتسبت خبرة بطرق الولادة ، وفعلاً ساعدت زوجتى فى ولادة طفلنا الثانى ، كما كنت أجيد صناعة الخبز والأحذية ومبادئ التجارة . كنت أستعمل للكتابة ظهور الإعلانات التجارية ، والخطابات الواردة لى ، أما المظروفات التى كنت أرسل بها الخطابات ، فأصنعها من أى قصاصة ورق . لقد كنت متعلقًا بالنظافة والاقتصاد

ودقة المواعيد، ولا أتسامح مع العاملين معى فى شىء منها ، كما كنت أتقبل الناس كما هم ، آملاً فى إصلاحهم على مر الأيام ، ونجحت فى إصلاح الكثيرين وقد تدهش لو عرفت ، أننى لم أر شريطًا سينمائيًا فى حياتى ، كما كان لدى ملكة الفكاهة .

● **ما الذى كان يحدث عندما تعتل صحتك وتمرض ؟**

ـ حينما كنت أمرض وتسوء حالتى ، كانت تقام الصلوات فى المعابد ، ليمنحنى اللّه الصحة والعافية ، بل وحينما كان يطلق سراحى من السجن ، يتوجه الهندوس إلى معابدهم ، والمسلمون إلى مساجدهم لشكر اللّه ، وتنظم المواكب احتفالاً من مختلف الطبقات والأجناس ، وتقفل المتاجر ، وتعطل المصانع ، ويقيم الأغنياء ولائم للفقراء .

★ ★ ★

(١٥) غاندى .. فى مستعمرات وصوامع أقامها

● ماذا عن المستعمرات التى أسستها وأين أقمتها ؟

- فى جنوب أفريقيا ، اشتريت قطعة أرض وأقمت عليها منازل ، وجعلتها مقرًّا للهنود المهاجرين ليعيشوا فيها فى أمن وسلام عيشة بسيطة . ولما عدت إلى الهند ، أنشأت مستعمرة شبيهة ، ولكنها كانت قاصرة على أقاربى وتلاميذى ، الذين ارتضوا حياة الفقر والزهد ، ليصلوا إلى معرفة الحق ، وكانت هذه المستعمرة ، حجراتها لا تحوى سوى الضرورى من الأثاث البدائى .

● على كلٍ لقد اشتريت مزرعة عام ١٩٠٤ ، على تل قرب ديريان ، ونقلت إليها مطبعة ، أشرف عليها ابنك مانيلال ، وصحيفة رأس تحريرها إنجليزىٌ كنت تحبه اسمه «بولاك» .

- لقد أسكنت بولاك بيتى ، واعتبرته كأحد أبنائى ، لدرجة أنه كان يريد الزواج من مسيحية برغم أنه يهودى ، وزوجته منها بالفعل ، كما زوجت الكثير من أصحابى ، وأقاموا جميعًا معى .

● **لقد كانت مساحة المزرعة مائة فدان ، وأنشأت بها قاعة للاطلاع وتناول الطعام ، وعقد الندوات والاجتماعات .**

ـ وتم تخصيص ثلاثة أفدنة لكل فرد ، ولا يجوز له أن يبيعها ، ولكن من حقه أن يتنازل عنها للغير .

● **وأصبح كوخك فى المزرعة ، محور حياة المستعمرة ومركز نشاطها الثقافى والاجتماعى ، وكان أعضاؤها يتجمعون يوم الأحد من كل أسبوع للصلاة .**

ـ لقد كانت الصلاة ، تشمل أبياتا من الجيتا ومن الإنجيل ، وكانت الأناشيد الهندية تختلط بالترانيم المسيحية ، تأكيدًا على تسامى المستوطنين عن فوارق العقائد الدينية .

● **على كلٍ لم يقدر لمشروع المزرعة النجاح ، لأنه كان يلزمه أموالٌ كثيرة .**

ـ لقد كونت صندوقًا تعاونيًا ، يعطى الفرصة لأعضاء حركة المقاومة السلمية أن يعيشوا معًا عيشة قائمة على البساطة والفطرة ، وعندما تبرع أحد محبىّ وهو « هرمان كالنياخ » ، بمزرعة واسعة فى ضواحى جوهانسبرج ، قمت بإطلاق اسم تولستوى عليها .

● **لقد كان عملك فى هذه المزرعة صناعة الخبز والأحذية والنجارة ، وأخذت تنقل خبراتك هذه إلى أعضاء هذه المزرعة ، التى كان يقيم فيها عائلات المعتقلين أو المسجونين من الهنود .**

ـ لقد حرمت التدخين والخمر ، على المقيمين بهذه المزرعة ، ولقد أقلقنى تعاون الفتيات مع الفتيان فى الأكل والنوم . واضطـررت أن أبعد المشاكل التى يمكن أن تنجم عن الاختلاط السافر .

● واضطررت إلى حلق شعور البنات ، وقمت أنت بذلك بيديك .

ـ لك أن تعرف ، أننى كنت أسير يوميًا على قدمى من المدينة إلى المزرعة ، قاطعًا مسافة عشرين كيلومترًا ماشيًا على الأقدام .

● ولما كانت حجرات المستعمرة ، لا تحوى سوى الضرورى من الأثاث ، فقد كان لك قول مأثور فى هذا الخصوص : « من رأيى أننا جميعًا نكون لصوصًا بطريقة من الطرق ، إذا قبلنا شيئا لسنا فى حاجة إليه ، للاستعمال المباشر ، ومن قوانين الطبيعة الأساسية ، أنها توافينا بما يكفى لحاجتنا من يوم ليوم ، ولو اكتفى كل إنسان بأخذ ما يكفيه ، ولم يزد على ذلك ، لما كان فى الدنيا فقر ، ولما كان هناك من يموت جوعا » .

ـ لقد توخيت فى حياتى ألا أملك شيئا لست فى حاجة إليه .

● بالطبع حديثنا عن المزارع والمستعمرات التى أقمتها ، يضطرنا أن نستأذنك أن تحدثنا عن صومعتك .

ـ كان قوام صومعتى مجموعة من الأكواخ ، أعيش فيها مع مريدىّ ومحبىّ فى مدينة « أحمد أباد » ، وهى على مسافة ميل من سجن المدينة . لقد كانت حجرتى صغيرة ، بها نافذة صغيرة ذات قضبان حديدية ، ولها شرفة كنت أنام فيها ، ولم أغادرها على مدى ستة عشر عامًا ، إلا لأذهب إلى السجن . لقد كان أتباعى يعيشون فى هذه الأكواخ ، وهم ثلاثون فردا ، زادوا إلى ثلاثمائة

وثلاثين ومعظمهم من المزارعين ، الذين كان همى أن أحررهم من الجهل والفقر والمرض ، لقد كنت أطوف بالصوامع ، أداعب الأطفال وأهدهدهم . وفى الاجتماع اليومى بعد الصلاة ، كان الأطفال يحومون حولى وأنا أصغى للتقارير ، فأمد يدى كأنى أحاورهم ، أو أقطع عليهم الطريق ، أو أحاول إمساكهم . وفى أحيانٍ كثيرة كنت أقتطع من وقتى لأداعب الأطفال ، بل كنت أقلب سحنتى وأغير من معالم وجهى كى أضحكهم .

- **وماذا عن باقى المقيمين فى الصوامع ، من أفراد الأسرة الكبار ؟**

ـ لقد كنت أعاملهم برفق وأداوى المرضى منهم بنفسى ، وأعودهم فى صوامعهم كل يوم ، كما كنت أميل إلى رفع التكليف .

- **وكان لك قول مشهور فى هذا ، وهو : « إن رفع الكلفة تبقى الاحترام الحقيقى وتزيد من المودة والحب » .**

ـ قد تدهش لو عرفت ، أن النكتة كانت تطربنى وإن كانت على حسابى .

* * *

غاندى .. الزوجة والأبناء (١٦)

• ماذا عن زوجتك وأولادك وبيتك ؟ ولنبدأ بزوجتك كاستوربای .

ـ عند زواجي بها كنت شديدًا عليها جدًّا ، ولكن مع الأيام خفّ التوتر بيننا ، وصرت أمازحها كثيرًا وفى الوقت الذى امتنعت فيه عن شرب القهوة والشاى ، كانت زوجتى تدمن شرب الشاى كما تحتسى القهوة ، وكنت أصنعها لها بيدى . وأعتقد أنه برغم انقطاع علاقة الجنس بيننا ، إلا أن شهوة الشباب الأولى ، قد صارت إلى حب حقيقي مع الزمن . لقد كانت شريكة عمرى وكفاحى وصومعتى وسجنى . ولما بلغت الرابعة والسبعين ، ماتت ويدها المعروقة فى يدى ، ورأسها فى حجرى . لقد تلوت الصلاة على جثمانها آيات من كتب الهندوس والسيخ والإنجيل والقرآن . لم أكن أتصور الحياة بغيرها ، فقد عشنا معًا اثنين وستين عامًا . إن ما آلمنى أنها وهى تحتضر ، سمحت الحكومة بأن يحضر ولدنا الأكبر هاريلال ، كى يودعها بعد فرقة سنوات طوال ـ وداعًا إلى الأبد ، ولكنه كان ثملاً ، فأخرجوه من حضرتها . وبكت ولطمت وجهها حزنًا على ولدها الذى استعبده الشيطان .

• لقد شاركتك زوجتك كاستوربای فى جهادك ، ووقفت فى شجاعة وإصرار إلى جانبك فى جهادك ، حينما كنت فى جنوب أفريقيا ، وحين سجن ولداك لمشاركتهما فى الحركة الوطنية .

ـ ولما جاءت لزوجتى رسائل من كل انجلترا تتضمن العطف ، قالت تشكرهم : « ليس هناك سوى اثنين من أولادى فى السجن . فى حين أن به ألوفا من الشباب ، قد انتزعوا من أمهاتهم » .

● أستأذنك يا مهاتما (غاندى) ، بأن نتناولك بالحديث ضمن حديثنا عن أسرتك .. فى موضوع مهم وهو أنك حين بلغت من العمر ٣٧ سنة ، عقدت النية على إنكار الغريزة الجنسية ، وقطعت كل علاقة بها قطعًا لا رجعة فيه ـ فهل لنا أن نعرف الحقيقة ؟

ـ كان ذلك في عام ١٩٠٦ .. فقد تخلصت من مشكلة الجنس مهما كانت حلالاً ، حتى لا أخضع نفسى للمتطلبات البشرية ، حيث وافقتنى زوجتى على وقف الاتصال الجنسى بيننا إلى الأبد . وتم ذلك على أن ينام كل منا فى حجرة منفصلاً عن الآخر ، وأن لا أصل إلى سريرى إلا بعد أن يكون الإجهاد قد حل بكل أجزاء جسمى ، حتى أنام سريعًا . لقد كان عمرى حين اتخذت هذا القرار سبعة وثلاثين عامًا ، واستمررت على هذه الرهبنة حتى وفاتى عام ١٩٤٨ .

● ألم تر فى ذلك حرمانا يا مهاتما (غاندى) ؟

ـ لم أكن أحس أنه حرمان ، ذلك لأن الآمال والآفاق التى كان يترامى إليها تفكيرى ، كانت تغمر نفسى وتشغل كل وقتى ، وتهيب بى بما تحمل من عظمة ومجد أن أنسى ما دونها من ملذات أخرى ـ لهذا لم أكن أشتهى طعام اللحم أو اقتناء الثراء أو الاتصال بالمرأة . لقد سددت كل القنوات فى شهواتى ، وجمعتها كلها نهرًا واحدًا ، نحو غاية موحدة هى الإنسانية .

● على كلٍ إن صفوة الفئة المثقفة المستنيرة من الشعب الهندى ، لم تكن تشاركك فيما ناديت به ، فيما يتعلق بالعفة الجنسية ، واحتقار لذة الجسد ، بل منهم من اتهمك ، بأنك السبب فى هدم الكثير من البيوت الزوجية ، وقد قالوا إن محاربة هذه الغريزة بالذات ، لاتختلف عن محاربة سائر الغرائز ، والدوافع الإنسانية التى لم توجدها الطبيعة ، إلا لتخليد النسل من جهة ، والدفاع عن النفس من جهة أخرى .

ـ لقد كان قرارى بقطع علاقتى الجنسية ، قرارًا لا رجعة فيه .

● بل مع الأسف ، لقد أردت أن تفرضه على ولديك ، كما فرضته على نفسك . وبالطبع سيتضح ذلك فى حوارنا عن أولادك .

ـ الحقيقة أن امرأة هندوكية متزوجة ، أغوت ابنى الأصغر «مانيلال» ، وكان عمره ٢٣ سنة ، وثرت واعتصمت بحجرتى ، وكففت عن الطعام ، واعتبرتها فضيحة تتبرأ منها عائلتى . وحملت المرأة على حلق شعرها . وقضى على مشروع الزواج .

● ولكنك أذعنت بعد ١٢ سنة للأمر الواقع ، وصرحت له بالزواج بعد صراع عنيف . ولم يمض على ذلك الزواج أيام حتى طردت مانيلال .. لماذا ؟

ـ لأنه عاون أخاه الأكبر « ماريلال » فى فضيحة مالية ، ولم أسمح له من النقود ، إلا بما يكفى أجرة السفر ، وما يقتات به لمدة خمسة أيام .

● لقد قضى مانيلال أكثر سنوات عمره بعيدًا عنك ، منفيًا فى جنوب أفريقيا ، وتحمل هذا التعسف إرضاء لك .

ـ أما أخوه « ماريلال » فقد كان أقوى شخصية ، وأشد عنادًا ، فقد جرؤ عند بلوغه الثامنة عشرة من عمره ، أن يستأذنني في الزواج ، فأبيت عليه ذلك إباء تامًا وهددته بالنفي .

● **ولكنه تزوج بالرغم من ذلك ، بعد أن احتج عليك مذكرًا إياك ، بأنك تزوجت وكان عمرك لم يتجاوز الثالثة عشر . على أن زوجته أدركها الموت .**

ـ فأثيرت مشكلة الزواج من جديد ، عندما بلغ ماريلال سن الثلاثين .

● **حاولت أن تضع العقبات في سبيل زواجه ، ولما اشتدت الأزمة بينكما اختل توازنه ، وتصدعت نفسيته ، فأخذ يشرب الخمر علنا في الأماكن العامة ، حتى قبض عليه رجال الشرطة بتهمة السكر والعربدة ، وانغمس في معاشرة النساء الساقطات واتهم في فضيحة مالية كبرى .**

ـ وأخيرًا عاد إلى رشده ، واعتنق الدين الإسلامي ، ولكنه لم يلبث أن راودته نفسه ، فأخذ يعبّ الخمر ليلاً ونهارًا حتى الثمالة .

● **ومات بسببها في أحد مستشفيات بومباي سنة ١٩٤٨ .**

ـ لقد تبرأت منه ، وكتبت مقالاً في صحيفة هند الفتاة التي تصدر بالإنجليزية .. لقد ذيلت المقال بـ : « قد يكون الناس على جانب من الصلاة والتقوى ، ولكن هذا لا يعني أن يكون أولادهم كذلك » .

● **لقد كنت قاسيًا على أولادك ، هاريلال ومانيلال ورامداس وبفاداس .**

ـ حتى إننى كنت أكثر من انتقادهم ، حين يعرض عليّ شاب مشكلته ، ويطلب منى إرشاده ، فإننى كنت أجعل من أخطاء أبنائى عبرة للناس ، وقد تدهش لو عرفت ، أننى كنت أحب « ماجانلال » ابن ابن عمى ، وأفضله على أولادى ، لأننى كنت أعتبره خليفتى الروحى . لقد كنت أعتبره وريثى ، وعندما مات عام ١٩٢٨ ، أحسست أننى ترمّلت ، فقد كان عندى أعز من أولادى ، فلم يخذلنى قط .

● بماذا كنت تنصح الشباب يا عزيزنا (غاندى) ؟

ـ لقد كنت أوصى بالعفّة لأسباب دينية . كما كنت أنصح بضبط النفس عن الشهوات والامتناع الإرادى عن الممارسة الجنسية إلا فى أوقات معينة ، حتى يتم تحديد النسل وضبطه .

● لقد كنت من أعداء الزواج المبكر .

ـ بل كنت عدوًّا لعادة زواج الأطفال ، التى كانت منتشرة فى الهند ، وهن دون الخامسة لأطفال أو شيوخ ، فلا يكون زواجًا فعليًّا ثم يموت الزوج ، فيتعين على الأرملة الطفلة ، أن تبقى حياتها كلها بغير زواج .

● هذا فظيع ويبدو أنه غير منطقى .

ـ لذلك كنت أرى ، أن تزويج الأرامل العذارى مرة أخرى أمر مباح ، وواجب حتمى على كل أب له ابنة فى هذا الوضع الشاذ .

● ولكنك طالبت الرجال والنساء الذين يترملون بعد زواج فعلى عقب البلوغ بغير ذلك ، فأولئك ينبغى ألا يتزوجوا بل ينذرون العفة .

ـ على كلٍ أستطيع أن ألخص رأيى ، فى العفة والشهوة الجنسية ، بأن تعاليمى بهذا الخصوص ، كانت مراعاة التقشف والزهد ، وتلزم مريدىَّ وأسرتى ، بمراعاة العفة فى العلاقات الجنسية ، فلا أسمح للمتزوجين بالإقامة فى جوارى ، إلاَّ إذا وعدوا وعدًا صادقًا ، بالتنازل عن علاقاتهم السابقة ، وبأن يعيشوا مع زوجاتهم معيشة الأخ مع أخته . لقد كنت أرى أن العفة التامة ، فى الفكر والكلام والعمل ، لازمة لبلوغ الكمال الروحى . وأن الرجل الذى يكبح جماح شهواته الجنسية ، يفقد الخوف من الموت ، ويترك الحياة والابتسامة تعلو شفتيه . لقد دعوت إلى الامتناع عن ممارسة الشهوات الحسية ، وأن تحول القوة التى منحها اللَّه لنا ، إلى الجهود العقلية والروحية .

* * *

١٧ غاندى .. وشخصيات تأثر بها

• هل كان لتولستوى أثر فى شخصيتك ؟

ـ ما من شك فى هذا ، فقد أعجبت به بلا حدود ، وخاصة أنه تنازل عن كل ضياعه الواسعة لزوجته وأولاده ، وعاش حافى القدمين فى زى فلاح فقير ، مقلعًا نهائيًّا عن التدخين ، وأكل اللحوم وصيد الحيوانات ، وأصبحت كل رياضته المشى لمسافات طويلة ، وركوب الدراجة . لقد اتصلت بتولستوى ، وكتبت إليه عام ١٩٠٩ ، أنبئه عن حركة المقاومة السلمية ، التى قام بها هنود الترانسفال ، بعيدًا كل البعد عن استخدام أى لون من العنف ، فشجعنى وأثنى على تفكيرى .

لقد قرأت العديد من مؤلفاته ، وأعجبت بها أشد الإعجاب . لقد كنت أسير على مبدأ تولستوى ، وهو ألا أقاوم الشر بالشر ، كما أدى شغفى به ، إلى دراسة المسيحية وأحببتها .

• ما هى العلاقة التى ربطتك بشاعر الهند طاغور ؟

ـ لقد كان شاعرًا متوقد الذهن والقلب وقورًا مهابًا ، كما كان حائزًا على جائزة نوبل ١٩١٣ . لقد كنت أعتبره البلبل المغرد ، كما كان يعتبرنى القائد المسالم المنتصر . وإن كان هو الذى أطلق علىّ لقب « المهاتما » فأنا الذى أطلقت عليه لقب « الفارس العظيم » . لقد كنا أولاد جيل واحد وفى عمر واحد تقريبًا .

• لقد كان من شدة إعجابك بطاغور أن أرسلت ابنك ليتعلم فى مدرسة البنغال . على كلٍ وإن كان الشاعر طاغور معجبًا

بإخلاصك وتفانيك فى الدفاع عن وطنك وشعبك ، إلا أنه كان يشن حربًا عنيفة ، ضد أساليبك فى العمل ، وضد أفكارك التى كنت تدعو جماهير الهند إليها .

ـ لقد كان طاغور يصفنى ، بالدجل والشعوذة والضحك على عقول الناس ، بل واتهمنى بالتهريج . وقد كان يجد من يؤيده ويتحمس لآرائه ، وهم أقلية من المتعلمين والمثقفين ، الذين عرفوا حضارة أوروبا وأحبوها ، وأرادوا أن ينقلوا أساليبها إلى الهند ، زاعمين أن تطور الهند ، إنما يعتمد على قدرتها فى أن تنقل أساليب التقدم والنهضة فى الغرب ، وتعمل من خلالها على حل مشكلاتها ، والوقوف على قدميها .

- **لقد أزعج طاغور ، أنك بدلاً من أن تدعو إلى إنشاء مصانع كبرى للنسيج ، شجعت الهنود على الصناعات اليدوية الصغيرة ، وبدلا من أن تدعو الهنود إلى استخدام الوسائل الحديثة فى الزراعة ، أيدت تقديسهم للبقر واعتمادهم عليه .**

ـ لقد رأيت أن أدعو الهنود ، للاعتماد على أنفسهم ، وعلى إمكانياتهم القليلة المتاحة لهم ، فى تحسين أحوالهم والاستغناء عن غيرهم . ولكن طاغور كان يرى فى دعوتى ، عداء للحضارة الحديثة ، وإنكارًا لها وتحريضًا للهنود على الابتعاد عنها . بينما هى عند طاغور ، الحضارة القوية القادرة على إنقاذ الهند ، وأى عداء لهذه الحضارة ، هو جريمة فى حق الهنود .

- **على كل لقد كنت أيها الزعيم (غاندى) ، تخاطب ملايين الهنود بلغتهم ، وتقدر ظروف حياتهم ، وتحاول أن توجه هؤلاء الملايين من الفقراء للاستفادة مما هو متاح لهم واحترامه واستثماره ، بدلاً من الانتظار حتى يأتى إليهم**

الغرب بالمصانع الكبيرة والآلات الحديثة ، وهم لايملكون شيئا من ثمنها وليسوا قادرين على استيرادها ، إلا بثمن واحد ، وهو أن يبيعوا حريتهم للغرب .

ـ لقد اتجهت أيضًا إلى دعوة الهنود للاعتماد على العلاج بالطب الشعبى والأعشاب ، وتنظيم مالديهم من خدمة طبية مع مقاطعة الأدوية الأجنبية ، وأساليب العلاج الغربية ، وكذلك كنت أدعو الهنود ، إلى مقاطعة المدارس التى أنشأها الإنجليز ، ومناهج التعليم التى فرضوها ، كما كنت أدعوهم إلى مقاطعة المحاكم التى أقامها الإنجليز ، وكانت هذه المقاطعة تعنى أنه لايجوز لأحد ، أن يقيم دعوى أمام هذه المحاكم ، أويمارس مهنة محام تحت سقفها .

- **من المؤسف أن الشاعر طاغور ، اعتبر أن هذا كله ، دعوة إلى مقاطعة الحضارة الغربية التى كان يعتبرها طريق التقدم والنهوض ، وأن كل ماتدعو إليه أيها الزعيم ، هو طريق للتخلف والجهل والحياة فى ظلام القرون الماضية .**

ـ لقد حظى طاغور بإعجاب الغرب ، وقام الأوربيون بترجمة أشعاره الرائعة ، وقصصه إلى لغاتهم المختلفة . لقد كان طاغور أول شاعر فى الشرق ، ينال جائزة نوبل سنة ١٩١٣

- **أما أنت فقد كنت موضع الغضب والسخرية من الغربيين ، وظل الأوربيون ينظرون إليك ، على أنك عدو للحضارة الغربية ، داعية لهدمها والقضاء عليها .**

ـ يكفى حوارنا هذا عن طاغور .

★ ★ ★

(١٨) غاندى .. آراء وأخلاق ومعرفة

● **هل لعبت السياسة دورًا فى حياتك ؟**

ـ يقال إن السياسة هى السعى إلى السلطان : وذلك يهدم سلطان الخصوم وإضعاف لشوكتهم ، كما تعتمد السياسة كثيرًا على إنقاذ المظاهر ، وستر الوجوه أمام الرأى العام ، والتذرع بكل شيء توسلا إلى النصر فى الانتخابات أو غيرها من ميادين النشاط الحزبى والحكومى .

● **أعتقد أن هذا التعريف للسياسة لا ينطبق عليك ، أو على تصرفاتك أيها المهاتما العظيم .**

ـ لقد كنت بطبعى أكره كل ما يؤدى إلى الفرقة بين الناس ، لذلك كنت دائمًا أفضل الصلة الإنسانية الحنون ، على برامج الأحزاب الجافية اللسان ، كذلك لم أضمر لأحد ـ حتى أعدائى ـ أية كراهية ، بل لم أكن أهدف إلى إضعاف أعدائى أو إذلالهم . لقد كنت مستعدًا للموت ، فى سبيل مبدأ أومن به ، ومع ذلك لم أرفض التحكيم ، ومحاولات التوفيق ، ولو كلفنى ذلك جزءًا من حقى .

● **لقد كنت لا تعير المظهر أدنى التفات ، وإنما كان المخبر هو الذى استأثرت به ، كما كان الحق عندك هو الأول والآخر**

بمعنى إما أن يكون الحق كاملاً غير منقوص ، وإلا فهو باطل وزيف .

ـ لقد حصلت على ثقة أهل الهند قاطبة ، لأننى كنت أقول كل شيء . ولا أخفي أى شيء ، ليس لي مطامع ، ليس عندى أسرار ، لم يحذرنى أو يستريب في صدق نواياى أحد .

● هل لى أن أعرف معنى الحب في حياتك ؟

ـ الحب هو السلاح الوحيد ، الذى أقاوم به الشر : لقد هوجمت واعتدى علىّ الغوغاء ثلاث مرات ، وكدت أقضى نحبى فى إحداها ، ولكننى لم أغضب على المعتدين ، وقد سجنت أربع مرات وكنت أهش لساجنى ، ولم أبد لهم أى كراهية أو امتعاض ، بل كنت أوصى زملائى من المسجونين ، بأن لا يعتبروا حراس السجن أعداء لهم ، بل ينظرون إليهم كأنهم إخوة . إن حسن معاملتنا لحراس السجن ، ينتزع من نفوسهم سوء الظن والصرامة .

● لماذا أقلع سكان الجبال عن الصيد ، وحاولوا أن يعيشوا من الزراعة ؟

ـ لأننى فى إحدى خطبى قلت «دعوا الغابة فى أمن وسلام» ، ولما كانوا متأثرين ، بما قيل عنى من صلاح وحكمة وطيبة ، وأخذى بمذهب الأهمسا ، القائم على ضبط النفس ومقاومة العنف بالحسنى . فقد أطاعوا أوامرى واتبعوا تعاليمى ، لذلك لم يكتفوا بترك الصيد ، بل أخذوا على أنفسهم عهدًا ، بأن لا يذبحوا الحيوانات

فى المستقبل ، بل حاولوا أن يبيعوا ما عندهم من الماشية ، ولكنهم لم يوفقوا ، فسرحوها وتركوها حرة ، مضحين بثرواتهم جميعًا .

● **ماذا جعلت رمزًا لوحدة الأمة غنيها وفقيرها ؟**

ـ لقد أدركت أن سبب فقر الهند ، هو نهب ثروتها القومية ، وذلك بتصدير محصولاتها الزراعية الخام ، ثم استيرادها بعد ذلك مصنوعة من الخارج ، ولذلك رأيت أن إحياء الصناعات والمهن الهندية القديمة ، هو الذى يرد على الهند رخاءها وينقذها من الفقر ، لذلك دعوت إلى العودة لاستعمال المغزل وطريقة استعماله الصحيحة والخيوط المناسبة . وإمكان الاستغناء بها عن اجتلاب البضائع ، أساس النصيحة والتوجيه . لقد استجاب لى مئات الألوف من الرجال والنساء من جميع الطبقات ، وعدوا من ألزم واجباتهم اليومية وأسماها ، أن يقضوا كل يوم بضع ساعات يغزلون أو يقبلون على النول ، وأصبح استعمال آلة الغزل ، فى القصور الفاخرة ، والأكواخ المتواضعة ،رمزًا لاتحاد الهند من مختلف الطبقات والعقائد والأجناس .

● **وما الذى حدث عندما أعلنت أن ارتداء الملابس المصنوعة من أقمشة أجنبية يعد إثمًا ؟**

ـ لقد طلبت من الشعب أن يتخلص منها ، ويعمل على إبادتها ، وتحمس القوم لدعوتى ، وأحرقت فى المدن الهندية الكبرى ، أطنان من الأقمشة البريطانية : واشترك فى ذلك الرجال والنساء والأغنياء والفقراء .

● **الثورة التى قمت بها ضد الحكم البريطانى .. على ماذا اعتمدت يا مهاتما (غاندى) ؟**

ـ اعتمدت على قوة الخير والصلاح والامتناع عن العنف ، ومقابلة الإساءة بالإحسان . لقد كنت لا أعد الامتناع عن العنف ، من التعاليم والوصايا الدينية والأخلاقية للأفراد أو للمجتمعات الصغيرة وحدها ، وإنما كنت أراه أساسًا للحركة السياسية . إننى أؤكد دائمًا أن الامتناع عن العنف ، ليس حالة سلبية ، وإنما هو فى الواقع مواجهة أسمى للضغط والاضطهاد .

● **لقد كنت ترى أن فصل السياسة عن الأخلاق من أسباب انحطاط الأمم السياسى .**

ـ إن موجدى الأديان العظماء كانوا كذلك من الساسة الكبار وأذكر من ذلك السيد المسيح عليه السلام والنبى محمد (ﷺ) ولا تسمو السياسة وتشرق إلا إذا امتزجت بالعناصر الدينية .

● **أنت تحب الهند حب الإبن ، كما أنك تحب الحق كذلك ، فإذا خيرت بينهما فأيهما تختار ؟**

ـ فى رأيى أن الهند والحق مترادفان ، ولكن إذا كان علىّ أن أقوم بالاختيار بينهما ، فإنى أكون فى جانب الحق .

● **يؤخذ عليك أيها الزعيم العظيم (غاندى) ، أنك لم تترك مكانًا للفن فى حركة الإحياء الهندى .**

ـ أنا لا أجهل قيمة الفن ، ولكننى لا أرى جمالاً يعلو على جمال الطبيعة غير المحدود ، وأن الفن الإنسانى لا يستطيع أن

يصل إلى مستوى جمال الطبيعة . أنا أنظر للفن باعتباره عاملاً اجتماعيًّا وأخلاقيًّا مناسبًا . وأعتقد أن الحياة أعظم من الفن ، وأن الرجل الذى تقرب حياته من الكمال ، هو أعظم الفنانين . وما قيمة الفن إذا لم يكن له أساس متين من الحياة النبيلة . إن كل ما هو حق جميل ، والرجل النقى كذلك فنان . إننى أقدر الفن من ناحية إسهامه فى التمهيد للوصول إلى الكمال الأخلاقى ، والفن الذى يكتفى بإخراج الطرف الفنية الجميلة فحسب ، لاحق له فى الوجود ، لأن الصورة الخارجية قوام أهميتها فى التعبير عن الروح الكامنة .

- **على كل لم يكن ينقصك رهافة الحس واتساع الفهم ، ولكن معرفتك بما تعانيه الطبقات الفقيرة من البؤس والحرمان كانت توجه تفكيرك هذا التوجيه . فإطعام الجائعين ومواساة البائسين ، لهما المكانة الأولى فى اهتمامك .**

ـ على فكرة امتداد الحوار إلى أحبائى وأعدائى ... امتداده إلى آرائى فى الحضارة الغربية والهندية .. فى التشابه بينى وبين تولستوى .. اشتغالى بالمحاماة .. إمتداد الحوار إلى قومى ومعاملة المنبوذين ، كل ذلك يتطلب الساعات والصفحات .

- **ولما كانت معاملة المنبوذين ، من أقوى أسباب النكبات التى حلت بالهند ، وأن إقصاءهم لاسند له فى الدين ، فكيف وجهت قومك للأخذ بيدهم ؟**

ـ لقد كان المنبوذون من الهنود ، يمثلون خمس أبناء جنسنا ، وغير مصرح بلمسهم وفق الديانة الهندوسية ، وقد اقتنعت بأن

إقصاء المنبوذين لاسند له فى الدين وإنما هو من المسائل الدخيلة ، وأن الكتب الدينية لا تستطيع أن تتجاوز حدود العقل ، وأن المقصود بها تنوير العقل وإظهار الحق . وأعلنت مرارًا أن تحرير الهند من الاستبداد الأجنبى لايكون ممكنا ، الإ إذا منح الهنود أنفسهم ، المساواة فى الحقوق للطبقات المضطهدة ، وأنه لافائدة من الحديث عن تحرير الهند ، مادام الهنود لايحمون الضعيف ، ولايساعدون العاجز ، وطلبت من جماهير الشعب ، حتى ـ وأنا فى السجن ـ أن يسمحوا للمنبوذين أن يشربوا الماء من آبارهم ، وبأن يلحقوا أبناءهم بمدارسهم ،وأكدت لإخوانى الهنود أن حركة عدم التعاون مع الإنجليز لاتتوج بالنجاح ، إلاَّ إذا أشركوا معهم المنبوذين .

- **على كلِ جانب كبير من جهودك السياسية ، كان وقفًا على المنبوذين والمضطهدين والمظلومين ، وشدة عطفك عليهم هى التى دفعتك إلى مقاومة الحكومة البريطانية .**

ـ هذا صحيح .

- **مسيو غاندى .. ماذا تقول عن اللَّه ؟**

ـ اللَّه عندى هو الحياة والحق والحب ، ولاشك عندى أنه مامن شىء يكون أو يتحرك بغير إرادته . فهو أقرب إلينا من قرابة الظفر من اللحم ، فهو عندى أوكد من جلوسى وإياك الآن فى هذه الحجرة ، وإنك لتسمل عينى فلاتميتنى ، وإنك لتجدع أنفى فلاتميتنى ، ولكنك إذا انتزعت منى الإيمان باللَّه قتلتنى من فورك .

● **غاندى أيها الروح العظيم .. كيف كنت تستغل أوقاتك فى السجن ؟**

ـ فى إكمال ثقافتى الأدبية بالمطالعة ، لقد قرأت فى السجن ، مؤلفات كارلايل وبن جونسن وولترسكوت وكتب تولستوى وثورو ورسكين ، مع الكتب الهندية المقدسة مثل البجافادجيتا . لقد كنت أبدأ فى الصباح بقراءة الجيتا ، وأخص منتصف النهار لقراءة القرآن ، وفى المساء كنت أقرأ الكتاب المقدس مع أحد الصحفيين المسيحيين .

● **وبرغم شدة ميلك إلى المسيحية فى شبابك ، واعتبار السيد المسيح من أعظم معلمى الإنسانية فى كل العصور ، فإنك ظللت تدخر أعظم جانب من اهتمامك للاطلاع على كتب الديانة الهندوسية . وفى أثناء اعتقالك فى برودا ، قضيت معظم وقتك فى قراءة « المهابها راتا » فى نصها الأصلى .**

ـ كما شغلت نفسى بالاطلاع على كتب الديانة الإسلامية ، وبخاصة السيرة النبوية وأخبار الصحابة . كما قرأت كتب المتصوف الألمانى جاكوب بهم ، وقد أعجبت بها وأشرت إليها فى محاضراتى ، واستشهدت بمقتبسات من كتبه .

● **لقد كان الاعتقال والسجن ، بمثابة فرصة للاطلاع على الكتب التى كانت حياتك السياسية تحول بينك وبين التفرغ لقراءتها .**

ـ لقد كنت أتابع البحث فى كل ما أقرأ ، وأتناول الأديان جميعا ، وأدرس تعاليمها ومبادئها .

• **ولما كان دخولك إلى السجن مرات كثيرة ، كنت تصوم فيها كثيرا ، مما كان يثير القلق ، فيثور الناس ويهموا بالهجوم على السجن لإطلاق سراحك ، وفى كل مرة كانت الحكومة تطلق سراحك .**

ـ لقد أطلقت الحكومة سراحى فى ٦ مايو سنة ١٩٤٤ ، وكان هذا آخر عهدى بالسجن .

• **مسيو غاندى .. هل لنا أن نعرف المدة ، التى أقمتها فى سجون الهند وجنوب أفريقيا ؟**

ـ المدة التى أقمتها فى سجون الهند ٢٠٨٩ يوما ، وفى جنوب أفريقيا ٢٤٩ يومًا ، تخللتها فترات صوم لتذكية النفس وتطهيرها .. وزارنى فيها الكثير من أنصارى ومريدىّ . ولم تنقطع الصلوات والأناشيد الدينية والابتهالات . لقد كان معى كتب كثيرة قرأتها وورق للكتابة ، وخلال فترة سجنى ، لم أحمل فيها حقدًا ولا غلاً لأحد ، ليس فى الهند وحدها ، بل فى العالم أيضا وخاصة انجلترا .

• **متى كان صومك الأخير يا مهاتما غاندى وما سببه ؟**

ـ بدأت الصوم الأخير فى ١٣ يناير سنة ١٩٤٨ ، لقد كان عمرى ثمانية وسبعين عامًا ، وقد أعلنت أننى سوف أصوم حتى الموت ، إن لم يكف أهل دلهى من الهندوس ، عن اضطهاد المسلمين وكراهيتهم ، لقد كان صومى ، بمثابة خطابٍ موجهٍ إلى كل هندوسى ومسلم فى الهند وباكستان آملا أن أجد استجابة .

● **لقد ظل صيامك ستة أيام نتيجة أن مبلغ ٤٠ مليون جنيه إسترليني ، التي كانت مستحقة لباكستان على الهند ، والتي ظلت تسوف في دفعها ، دفعها نهرو فور أن كتبت إليه تستعجله بدفعها .. في مغرب كل يوم كنت تعظ الناس وتبشرهم بالإخاء ، وكانوا من جميع الأجناس والأديان والأوطان .. اجتمع الزعماء منذ بداية الصيام ، وتعاهدوا على حماية الأرواح ووقف الاضطهادات ، ورد المسلوبات وتعويض المنكوبين وديًّا ، ودون تدخل السلطة الرسمية .**

ـ في اليوم السادس من الصيام ، تم الاتفاق على التعهد ، وحضر إليّ المتعاهدون ، وتلوا عليّ الاتفاق الذي أسعدني .

● **لقد حوى الاتفاق ، حماية الحفلات التي تقيمها الأقلية المسلمة في أعيادها الدينية ، ورد المساجد في دلهي إليهم ، ورعايتهم في الحال والاستقبال ، في دلهي وغيرها من البلدان ، وعدم مقاطعة متاجرهم أو مصادرة حريتهم .**

ـ لقد تأثرت وسالت دموعي على خدي ، وبكى الحاضرون ، ورجوني أن أفطر بعد أن أكدوا مواثيقهم ، وفعلاً أنهيت صيامي .

● **بعد يومين من إفطارك ، ألقيت عليك قنبلة يدوية في أثناء الصلاة .. من الذي ألقاها ؟ ولماذا ؟**

ـ لقد ألقاها هندوسي ممن طردهم مسلمو الباكستان الذين كانوا يعيشون في مساجد دلهي المغصوبة من المسلمين ، لقد أثاره عليّ أنني أصررت على طرده وأمثاله من تلك المساجد ، وردها إلى أهلها ، بعد الذي رأيته من تعذيب أهل الباكستان لبني دينهم .

● على كلٍ لم تؤذك القنبلة ، وقبض على الجانى ، ولم تكترث أنت لهذا الاعتداء المنكر .

ـ بعد أيام انطلقت الرصاصات ، وأنا ماض إلى الصلاة ، من أحد البراهمة المتعصبين ، فأردتنى قتيلاً ، وأنا رافع يدى بتحية المحبة والسلام .

● مهلا يا مسيو (غاندى) .. فاغتيالك والظروف التى تمت فيها والطقوس التى واكبت جنازتك وحرق جثمانك ، من الضرورى أن نفرد له حوارًا خاصًا ، يثير فضول الباحثين فى تاريخك ومحبيك .

ـ يبدو أنه مازال فى حوارك بقية .

★ ★ ★

١٩
غاندى .. الاغتيال ومراسم الجنازة وطقوسها

● **سؤال ما زال يحيرنى .. هو وأنت رسول السلام والرجل الذى أحببت أعداءك وباركت لاعنيك ، وعففت عن قتل حشرة تدب على الأرض .. أليس غريبًا ، أن يقتلك رجل من بنى وطنك ، ومن بنى دينك ؟**

ـ جماعة البراهمة المتعصبون ، أعماهم التعصب ، وبرغم أنهم حرموا قتل البقرة وهى حيوان أعجم ، إلا أنهم لم يتورعوا عن التحريض على قتلى وأنا شيخ عجوز ، فأطلق علىّ أحدهم واسمه « جودس » ، ثلاث رصاصات أردتنى قتيلاً ، وأنا عجوز ناهزت ٧٩ عامًا ، قضيت منها ٥٠ عامًا فى الكفاح المرير ، من أجل استقلال الهند ووحدتها .

● **هل لنا أن نعرف متى وكيف تم اغتيالك ؟**

ـ كان ذلك فى ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ ، فبعد أن تناولت وجبة طعامى التى تكونت من لبن الماعز والخضار المسلوق وعصير البرتقال والليمون الحامض والخضراوات ، فى حجرتى الخاصة فى قصر بيرلا فى دلهى الجديدة ، نهضت وقد اتكأت بذراعى ، على كتفى حفيدتىّ « آبا » و« مانو » لتصحبانى إلى المكان المعد للصلاة ، فى الساحة بالقرب من سكنى .

• لقد قطعت المسافة فى دقيقتين ، وأنت تتحدث وتضحك مع الفتاتين ، فقد كنت تطلق عليهما « أنهما عصواك اللتان تدب عليهما » ، كما لم تغفل أن تتندر بعصير الكرات ، الذى قدمته إليك « آبا » ، فقد سميته ضاحكًا « علف البهائم » .

ـ ما إن بلغت الساحة المفروشة بالعشب ، حتى لقيت قرابة خمسمائة شخص ، قد تجمعوا لصلاة المغرب ، ولما كنت قد تأخرت قرابة العشر دقائق ، فقد حاولت الإسراع بارتقاء الدرجات الخمس ، حتى أصل الى المنبر الخشبى ، الذى تعودت أن أرتقيه .

• بالطبع ما إن رآك الحاضرون ، حتى نهض منهم من نهض وانحنى منهم من انحنى إجلالاً لك ، وتعاون آخرون على فتح طريق لك بين الناس ، أما القريبون منك فكانوا ينحنون على قدميك .

ـ لقد رفعت يدى عن كتفى الفتاتين ، وضممت راحتى محييًا المصلين ، فى هذه اللحظة ، برز فى طريقى شاب بدا عليه كأنه يهم أن يركع أمامى إجلالاً وتوقيرًا ، بيد أن « مانو » خشيت أن يزيد هذا فى تعويقى ، فحاولت أن تمنعه وأمسكت بيده ، فدفعها دفعًا شديدًا ، فوقعت على الأرض ، وتقدم بالقرب منى وأفرغ ذلك الشاب الهندى الآثم المعتوه ، رصاص مسدسه فى قلبى .

• وهتفت أيها العزيز (غاندى) بصوت ضعيف وقلت : يا إلهى ، وخررت مع الرصاصة الثالثة على الأرض ، وقد سقط منظارك عن عينيك ، وفارق نعلاك قدميك ، ورفعت آبا ومانو رأسك ، وحمل الكثيرون جسدك إلى حجرتك ، فى قصر بيرلا .

ـ ولما كانت عيناى مغمضتين نصف إغماضة ، فقد تخيل البعض أن فى عروقى نبضًا خفيفًا واستدعوا طبيبًا .

● لقد حضر بعد أن مضى على إطلاق الرصاص عشر دقائق ، وقرر أنك لفظت آخر أنفاسك ، وانقضى على وفاتك عشر دقائق . وجلس أتباعك وحواريوك من شباب الجنسين ، حول جثمانك يبكون ويولولون .

ـ حتى حضر جواهر لال نهرو

● وجثا إلى جوارك ، ومرغ وجهه فى ثوبك الدامى ، وأجهش بالبكاء . ثم بدأ يتوافد مولانا أبو الكلام أزاد وزير المعارف ، وكثيرون من وجهاء الهند ، ورجال الهيئة السياسية .

ـ ألم يحضر أحد من أبنائى ؟

● لقد جاء ابنك الأصغر « ديفاداس » وتحسس جسدك ، وضغط بيده على ذراعك بحنان ، وكان جثمانك لا يزال دافئًا ، كأنك على قيد الحياة ، وعلى محياك ابتسامة هدوء وسلام .

ـ هل لى أن أعرف ماذا حدث بعد نقل جثمانى إلى داخل مسكنى ؟

● كانت الجموع فى الخارج تطالب بإلقاء نظرة أخيرة عليك ، فرفع الجسد إلى سطح البيت ، ووضع كأنك مضطجع ، وسُلِّط عليك ضوء كشاف ، ومرت ألوف مؤلفة من أمامك يحنون هاماتهم ويحيونك وهم يذرفون الدموع . فلما أوشك الليل أن ينتصف ، نقلوا الجثمان إلى الحجرة ، وجلس الباكون من حولك يقطعون البكاء بقراءة من كتب الهندوس المقدسة ، ولاسيما . « باجوراجيتا » .

وعند الفجر شرعوا ينزعون عن جثتك الثوب الأبيض البسيط ، والدثار الصوف ، اللذين خضبهما دمك الذكى .

ـ لقد سقطت أول الرصاصات التى صرعتنى من وسطهم ؛ وانطلق الحاضرون يبكون بغير وعى ، وقد تمثلت لهم هيكلاً عظميًا ، عليه شملة واحدة ناصعة البياض .

- **لقد خطر للبعض أن تحنّط الجثة ، وتؤجل الجنازة حتى يتسنى لمحبيك فى أنحاء البلاد أن يحضروا لإلقاء النظرة الأخيرة .**

ـ أعتقد أن ابنى «ديفاداس» ، و«بيارلال» سكرتيرى الأول ، قد عارضا هذا الرأى .

- **فعلاً لأن ذلك يخالف معتقدات الهندوس وتقاليدهم ، ولأنك أنت لن تغتفر لهم هذا ، كما عارضا إبقاء جثتك فى صورتها الأرضية بأى شكل . وتقرر حرق الجثة فى اليوم التالى .**

ـ حسب الطقوس الهندية المعتادة .. تُرى هل تعرف تلك الطقوس ؟

- **لقد قام حواريوك فى الصباح الباكر بغسل جثمانك ، وجعلوا حول عنقك المعروق قلادة من القطن المغزول بالأيدى ، ثم غطوا بالأزهار والورود ، الملاءة التى كانت تسترك ، ولاتكشف إلا عن رأسك وذراعيك وصدرك .**

ـ لقد أصر ابنى «ديفاداس» على أن يظل صدرى عاريًا ، كما تعرى صدور الجنود إذا سقطوا صرعى . وكانت مبخرة عامرة بالعطور ، يتضوع نفحها الطيب إلى جوار الجثمان .

• **حتى إذا طلع الصبح ، رفعت أيها المهاتما من جديد إلى سقف البيت لتراك الجموع ، ولتمر من أمامك تودعك الوداع الأخير .**

ـ ألم يحضر ثالث أبنائى « راماداس » جنازتى ؟

• **لقد وصل فى الساعة الحادية عشر إلى دلهى الجديدة بطريق الجو ، وكانت الجنازة قد أجلت حتى يصل ، فلما حضر نقلوك إلى البيت ، ثم أخرجوك إلى الشرفة ، وقد أحاط برأسك إطار من القطن ، وبدا وجهك هادئا مطمئنا ولكنه حزين .**

ـ هل لك أن تصف لى جنازتى ؟

• **لقد لفوا نعشك فى علم الهند المستقلة ذى الألوان الثلاثة الأصفر والأبيض والأخضر . وحمل النعش على جرارة حربية يجرها مائتان من ممثلى الجيش والبحرية والسلاح الجوى الهندى ورجال الشرطة .**

ـ بالطبع لم يستخدموا المحرك الآلى فى دفع الجرارة ، لأننى كنت عدو الآلة .

• **لقد بلغ طول موكب الجنازة ميلين كاملين ، وبدأ الموكب الحزين الضخم يشق طريقه . فلم يبلغ نهر «جوما» على بعد خمسة أميال ونصف من دلهى الجديدة إلا بعد الساعة الرابعة وعشرين دقيقة .**

ـ يبدو أن مشيعى جنازتى كانوا كثيرين ؟

- **لقد كان المشيعون مليونًا ونصف مليون ، وكان الواقفون على الجانبين أكثر من مليون نسمة ، منهم من تسلق الشجر ، ومنهم من خاض النهر، ومنهم من وقف فى بحيرة ، لايبالى الماء أو السقوط .**

ـ هذه الجموع الباكية ، من هندوس ومسلمين وسيخ ومنبوذين وهجناء من نسل انجليزى وهندى .

- **هذا بخلاف أكثر من مليون آخرين ، جلسوا منذ الصباح الباكر ، فى انتظار وصول جثمانك الكريم ، على ضفاف نهر الجومنا المقدس ، لقد ارتدوا اللون الأبيض ، سواء فى ملابس الرجال ، أو النساء .. حتى يخيل لك كأن ضفاف الجومنا ، حقل كبير من حقول القطن المتفتح .**

ـ لقد كان اللون الأبيض ، هو اللون الأثير والفريد عندى .
المهم .. ماذا عملوا بجثمانى ؟

- **بالقرب من المكان المخصص لمراسم الجنازة ، أقيم هيكل جديد من الحجارة ، ونصبت محرقة جديدة ترتفع عن الأرض نحو قدمين ، ومسطحها نحو ثمانى أقدام ، وقد صفت فوقها كتل من خشب الصندل ، المخلوط بالعود والبخور النادر .**

ـ ووضعونى فوق تلك المحرقة ، ورأسى إلى الشرق وقدماى إلى الجنوب .

- **وفى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين ، أشعل ولدك رامداس محرقتك الجنائزية ، فاندلعت النيران فى الأخشاب**

الجافة ، بين عويل النساء وندبهم . واستمرت النار مشتعلة فى المحرقة ، أربع عشرة ساعة ، والأناشيد الدينية لاتنقطع ، حتى ختمت الجيتا المقدسة برمتها .

ـ لقد انقضى على ذلك سبع وعشرون ساعة ، وبردت المحرقة ، وتجمع أهلى وحوارىّ وكبار الرجال الرسميين .

- **وقاموا بلم رمادك ، ووضعوك فى كيس من قطن غزل ونسج بالأيدى فى البيوت .**

ـ لقد وجدوا رصاصة كانت مستقرة فى جسدى .

- **أما عظامك فبللت بقطرات من ماء نهر « جومنا » المقدس ، ووضعت فى إناء من الشبه ، ووضع ابنك رامداس ، طاقة من الزهر العطر حول عنق الإناء ، ثم حمله فى سلة خاصة مليئة ببراعم الورد وأوراقه فوق صدره ، إلى بيت بيرلا .**

ـ أعتقد أن رمادى تنازعته ، بقاع الهند والملايو وبورما والتبت .

- **لقد كان وصوله إلى كل بلد حجا مقدسًا لملايين الناس ، فمثلاً فى مدينة الله أباد ، طافت « قدر » الرماد فوق عربة ، كأنها لكثرة ماحملت من الزهور حديقة متحركة ، فاخترقت مليون ونصف من البشر ، كانوا يتبعون العربة بالأناشيد الدينية رجالاً ونساء . وفوق العربة مع بقاياك أيها الزعيم ، جلست الشاعرة الكبيرة « ساروجين نايدو » و « أبو الكلام أزاد » ورامداس ابنك ، والسردار باتل . أما جواهر لال نهرو ، فكان يسير بجوار العربة على قدميه ، مضموم القبضتين متجهم الوجه مطرقًا .**

ـ ماذا كان مصير القدر الذى به رمادى ؟

• فى مجرى النهر ، وضعت القدر فى قارب أبيض اللون ، تبعه جمع غفير من الناس خائضين الماء ، ليكونوا بقرب عظامك حتى النهاية ، وفى وسط النهر ، أفرغت محتويات القدر ، وانتشرت عظامك أيها الروح العظيم فوق الماء ، ثم جرفها التيار إلى المحيط . ودوت فى الأفق من بعيد طلقة مدفع تحييك بها قلعة اللّه أباد ، أيها الروح العظيم ، الذى عشت بلا منصب ولا لقب رسمى ، ولم تنتسب إلى هيئة علمية أيًّا كانت ، ولكنك كنت إنسانًا ، المصاب فيك فادح ، بكاك الجميع . ونعاك إلى الأمة وهو يغالب عبراته ، التى اعترضت حلقه ، وخنقت أنفاسه جواهر لال نهرو رئيس الوزراء ، فقد خاطب العالم من الإذاعة ، بعد الاعتداء عليك بوقت وجيز ، يا أبا الأمة « بابو » .

★ ★ ★

٢٠ غاندى .. ماذا جنت الهند من ثمار غرسه بعد وفاته ؟

- ما هى الألقاب التى أطلقت علىّ ؟

● رجل الهند وبطل الاستقلال .. أبو الهند .. مهندس الاستقلال . لقد قالوا إذا كان استقلال الهند قد حدث بمعجزة ، فإن (غاندى) هو المعجزة » .

- هل ما زالت الهند تذكرنى ؟

● بالطبع يذكرك العالم كله وليس الهند وحدها ، وقد يسعدك أن تعرف أن « ناراسيما راو » رئيس الوزراء الهندى قد صرح فى الاحتفال بعيد ميلادك ١٢٦ بأن الحكومة ستخصص هذا العام ١٩٩٦ جائزة لجهود السلام تحمل اسمك على غرار جائزة نوبل للسلام قدرها ١٠ ملايين روبيه ، وهو ما يعادل ٣٠٠ ألف دولار ، وستقدم للشخص الذى يسهم بإنجازات كبيرة تخدم التقدم الاجتماعى ، متبعًا أساليبك يا مهاتما (غاندى) . كما أن هيئة بريد جنوب أفريقيا فى بريتوريا ، أصدرت طابعى بريد لإحياء ذكرى ميلادك ، اعتبارًا من ٢ أكتوبر ١٩٩٥ ، ويصورك الطابع الأول ، وأنت شاب عام ١٩٠٦ ، عندما كنت تمارس المحاماة فى جنوب أفريقيا ، التى عشت فيها ٢٢ عامًا ، أما الطابع الآخر فتظهر فيه فى زيك الشعبى البسيط ، بصفتك داعيًا لاستقلال الهند .

- لقد أعدتنى بحديثك عن زيى الشعبى البسيط للذكريات .. فقد كان فراشى بطانية من الصوف ، ووسادتى كتابان أو ثلاثة ، فى الصيف أقيم فى العراء وأفترش التراب .

● كما كنت تعيش فى غرفة متواضعة ، ليس فيها سوى الكتب ، أنت كما تنازلت وزوجتك عن كل ثروتكما للفقراء ، وإن كنت مناضلاً مطبوعًا وداعية سلام بطبعك ، إلا أنك لم تكن خطيبًا على الإطلاق .

ـ يكفى أننى حاربت أكبر دولة استعمارية فى العالم ، دون استخدام العنف ، وتحققت آمالى فى الاستقلال ، بعد صبر استمر نصف قرن من الكفاح الهادئ الصامت على القوة القاهرة الغاشمة .

● بالطبع حين تذكر مواقفك فى الهند ، فسوف لاتنسى أنك قد نجحت فى إلغاء البغاء فى الهند كلها ، وحققت مساواة المنبوذين بغيرهم ، ومنعت الاتجار بالخمور والمخدرات ، وعممت مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، وعممت المغازل فى القرى جميعها ، وحاولت أن تقيم اتحادًا بين المسلمين والهندوس .

ـ على كلٍ وإن كنت لم أملك من حطام الدنيا شيئًا ، كما كنت أسير حافى القدمين حاسر الرأس ، وعلى جسدى إزار أبيض بسيط منسوج ، إلا أننى حاربت الاستعمار ، كما حاربت استبداد الهنود بعضهم ببعض .

● ونحن لا نغفل أنك كنت زعيمًا فى بلد فقير متخلف ، وقائدًا لشعب كثير الأديان ، متعدد الطوائف مختلف العادات ، ولانتجاهل وأنت فى نضالك السياسى ضد بريطانيا ، من أجل استقلال الهند ، قد ناضلت من أجل وحدة الشعب . وتنظيم البلاد وتصحيح أوضاع المجتمع ، ومعالجة المشاكل المتعددة ، وقضايا الهند الداخلية .

ـ حقًا خرجت انجلترا من الهند ، إلاّ أن المشاكل قد بدأت .

● **ماهى تلك المشاكل ؟**

ـ تكوين حكومة انتقالية ، والبحث عن وسيلة لعمل دستور ، يرضى جميع طوائف الشعب .

● **لقد كنت ترى أن تظل الهند : دولة واحدة قوية علمانية ، تجمع الهندوس والمسلمين والسيخ والمنبوذين ، وترتفع بمستواهم جميعًا ، دون تفرقة مادية أو اجتماعية أو دينية .**

ـ ولكن مع الأسف ، أصر محمد على جناح ، على تكوين دولة إسلامية : وفعلاً أنشأ دولة باكستان ، من ولايات البنغال وبنجاب وآسام والحدود الشمالية الغربية للهند والسند وبلوخستان .

● **وبالرغم من استمرار اجتماعات كل من الهندوس والمسلمين ، إلا أن احتمال حدوث حرب أهلية كان واردًا .**

ـ وما إن غادر البريطانيون الهند ، حتى تكونت دولتا الهند وباكستان فى ١٥ أغسطس ١٩٤٧ ، وحاولت تهدئة الموقف ، ولكن مع الأسف ، الدماء سالت فى كل مكان .

● **حتى إنك قد يئست من فكرة بقاء الهند دولة واحدة ، واضطررت إلى التصريح ، بأنه ليس فى طاقة البشر ، حل المشكلة بين الهندوس والمسلمين .**

ـ لقد طالب محمد على جناح ، زعيم الرابطة الإسلامية بحق تقرير المصير للمسلمين . لقد كان هدفه واضحًا ، وهو تصميمه على تقسيم الهند إلى دولتين مع تغيير علم الهند .

• **وهكذا تصدعت الجبهة الهندية ، وضاع حلمك فى الحفاظ على الوحدة بين الهندوس والمسلمين .**

ـ أعتقد أن التاريخ ، لن ينسى دورى على مسرح جنوب أفريقيا ، حيث وقفت إلى جانب الهنود المتواجدين بها ، والذين كانوا يمثلون الاضطهاد بأبشع صورة .. كذلك لن ينسى التاريخ دورى على مسرح الهند ذاتها ، خلال الفترة من عام ١٩١٥ حتى وفاتى فى عام ١٩٤٨

• **لقد كنت قريبًا إلى قلوب المسلمين والهندوس ، بل لكل طبقات وفئات الشعب الهندى ، الذى كان تعداده حينذاك قرابة أربعمائة مليون هندى ، فى وقت كانت بريطانيا أكبر دولة استعمارية فى العالم يبلغ تعدادها أربعين مليونًا فقط .**

ـ تلك الدولة التى سوف يسجل التاريخ ، أننى استطعت برغم كل ما اتسمت به من قوة وسيطرة ، أن أجعل من روحانياتى أساسًا لمقاومتها .

• **يا ليتك يا مهاتما (غاندى) ، تلخص لنا فلسفتك ورسالتك للهند ولكل العالم .**

ـ رسالتى كانت تتلخص فى أن التقدم والنهوض ، لا يتحقق بالأفكار والآلات وحدها ، ولكنه يتحقق أولاً وقبل كل شىء بالقيم . والآلات الكبيرة والمصانع الضخمة لاتقيم حضارة ، ولكن الذى يقيم الحضارة ، هو ثقة الإنسان بنفسه ، واعتماده عليها ، واحترامه لأى عمل يقوم به ، حتى لو كان هذا العمل كنس البيت ، أو تنظيف الشارع ، واحترام ما يملكه الإنسان

مهما كان قليلاً ، وعدم تبديده فى إسراف وسفاهة ، وأن المال الحرام ، والثروة الآتية عن طريق فاسد ، لايمكن أن تؤدى خيرًا أو تقدم نفعًا . وأن الوقت الإنسانى ثمين ، وتبديده جريمة ، والعلاقات بين أبناء المجتمع ، يجب أن تسودها الرحمة والتعاون ، وأن أى شىء فى هذه الدنيا ، ليس بمظهره بل بجوهره الأصيل .

● **على كلٍ بفضل هذه القيم نهضت الهند ، ودخلت ميدان الحضارة الحديثة بقوة ، وهى مرشحة خلال السنوات القليلة القادمة ، لتصبح إحدى الدول الصناعية السبع الكبرى فى العالم ، مثلها مثل اليابان وأمريكا . وأصبحت الهند تزرع الآن ما تحتاج إليه من القمح ، ولا تستورد حبة قمح واحدة من الخارج كما أصبحت متقدمة جدًّا فى المجال الصناعى ، وأكثر من تسعين فى المائة ، مما تستخدمه الهند الآن فى كل المجالات ، هو من صنع الأيدى الهندية . لقد أصبحت الهند ، خلال خمسين سنة فقط من الاستقلال عن انجلترا ، وبعد قتلك عام ١٩٤٨ ، إحدى الدول الصناعية المتقدمة فى المجال الصناعى ..**

ـ كم أسعدتنى بأن رسالتى ، قد جنت الهند ثمارها ، بعد نصف قرن من وفاتى .

● **هل ما زال فى حوارنا بقية ؟**

ـ بالطبع .. وقد شارف حوارنا على الانتهاء ، فهل لى أن أعرف من كتب عنى ؟ وماذا قالوا ؟

* * *

٢١

غاندى .. ماذا قالوا .. وماذا كتبوا عنه

● **بالطبع على مدى عمرك الطويل ، قد عاصرت الكثير من نواب الملك المتعاقبين ، وكان لكل منهم رأى خاص فى شخصيتك وآرائك وفلسفتك ، ويعوزنا الوقت لذكر ما كتبوه عنك ، كل على حدة لذلك أستأذنك بأن نكتفى ، بذكر ما كتبه اللورد ريدنج إلى ولده عنك فى أبريل سنة ١٩٢١**

- لقد كان اللورد ريدنج يهوديًا ، وصل إلى الوزارة وولاية القضاء الأعلى ، ثم صار سفيرًا فى أمريكا قبل أن يأتى إلى الهند ويتولى منصب نائب الملك ، مزودًا بسلطات مطلقة على الشرطة والجيش .

● **لقد كتب إلى ابنه بعد أن دعاك للقائه ، واستجبت إلى دعوته التى قابلها أنصارك بالتذمر ، وقلت لهم إننا نهاجم الوسائل والبرامج ولكننا لا نهاجم الأشخاص ولا نعاديهم ، لأننا بشر ناقصون ، فينبغى أن نكون سمحاء مع الناس ، ولو كانوا خصومنا .**

- لهذا استجبت بسرور لدعوة اللورد « ريدنج » بل لقد اجتمعت معه ست مرات ، دامت ثلاث عشرة ساعة .

● **بعد هذه الاجتماعات ، كتب اللورد لابنه عنك : « ليس فى مظهرك شىء خارق ، فقد ذهبت إليه فى إزار أبيض ،**

وعلى رأسك غطاء منسوج باليد ، عارى الساقين ، حافى القدمين ، فكان أول ما خطر له ، حين دخلت عليه الحجرة ، أن منظرك لا يلفت النظر ، ولو رآك فى الشارع لما أعارك نظرًا ، ولكن ما إن تكلمت ، حتى تغير رأيه عنك كلية .. فأنت رجل مستقيم ، لا تحاور أو تداور ، ولغتك الانجليزية ممتازة ، وتحسن التعبير عن نفسك ، وتزن الكلمات التى تنتقيها لعباراتك . فأنت رجل لم ير فيك موضعًا للتردد ، وفى كل كلمة تنطقها ، كان يحس فيها ميزة الصدق والإخلاص ، أما عقيدتك الدينية ، فهى راسخة كل الرسوخ ، وأنك مؤمن إلى حد التعصب الأعمى ، بأن عدم العنف والمحبة ، سيكفلان للهند استقلالها ، ويقهران الحكومة البريطانية . أما آراؤك الخلقية ، فهى على مستوًى عالٍ جدًّا ، وإن كان مضطرًا للاعتراف بعجزه عن فهم كيفية ممارستك لها فى ميدان السياسة . لقد كانت محادثاتكما فى منتهى الصراحة ، وكنت أنت فى منتهى الأدب ، وعلى جانب رفيع من التهذيب ، وكنت عند وعدك فى جميع المسائل التى تناولتماها بالمناقشة »

ـ لقد كان اللورد معذورًا فى عدم فهم سياستى مع أننى كنت صريحًا جدًّا فى بسطها .. لقد قلت إن سياستنا ، تقوم على أساس دينى محض . فحركتنا هدفها تطهير الهند من الرشوة والغش والإرهاب ، والخضوع لرق المدنية الغربية ، وهذا هو جهادنا الأعظم والأكبر نحو أنفسنا ، أما جلاء انجلترا عن الهند فسيأتى عرضًا ، ونتيجة لهذا التطهر ، ولذلك اخترنا سبيل عدم التعاون وفى غير عنف .

• أعتقد أن نكتفى بهذا القدر مما كتبه عنك اللورد ريدنج الإنجليزى اليهودى ،وحتى يتسنى لنا نكر ماذا كتب عنك الآخرون .

ـ كم يسعدنى ذلك .. تُرى بمن تريد أن تبدأ ؟

• بالدكتور «رادها كريشنا» رئيس الجمهورية الهندية الأسبق ، فقد قال : « إن غاندى كان أولاً وأخيرًا رجل دين ، وأنه كان سياسيًّا فقط من ناحية المظهر العام لحركاته المشهورة ، ولا نعنى بقولنا إنه رجل دين ، أن هذا الشعب كان يتبع دينًا كهنوتيًّا له طقوس خاصة ، لأن (غاندى) أعلن أن كل تصرفاته موجهة لرؤية اللّه ، وأن الغاية من الدين هى الوصول إلى المثل العليا بعيوننا وأرواحنا ، وأننا يجب أن نعترف بكل طريق يؤدى إلى ذلك ونمدحه .. هذه كانت نظرية غاندى الدينية »

ـ هذا ما قاله فى ندوة عقدت فى بومباى ، ونشرتها جريدة ستيتسمان ، فى عددها الصادر فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٦٣ .

• أما الباحث الألمانى رينيه فيلوب ملر ، فبعد أن قسم سكان الهند ، حسب تقاليد النظام القديم الطبقى ، وذكر ضمنها طبقة المنبوذين ، فقد كتب : « لقد استطاع (غاندى) بشخصيته الفذة أن يوحد صفوف هذه الطبقات المتعالية ، وبذلك أحدث ثورة على التقاليد ».

أما صديقك الإنجليزى « أندروز » ، عندما كنت راقدًا بالمستشفى فى مدينة بوتا ، وزارك هناك فقد كتب : « هنا

يرقد حاكم الهند ، الذى فاق تأثيره النفوذ الإمبراطورى ، وبعد أن ننسى أسماء الحكام الذين يقيمون الآن فى قصور دلهى ، سيظل اسمه مقترنًا بالتشريف بين الناس ، وستنقل ذكرى المهاتما (غاندى) ، من الأمهات الهنديات إلى أطفالهن ، بوصفها ذكرى أحد عظماء القديسين والمخلصين » .

أما الشاعرة « ساروجينى تيدى » تلميذتك المخلصة ، فقد كتبت : « كان غاندى فى نظر القانون مذنبًا وخارجًا على القانون ، ولكنه حينما دخل إلى ساحة المحكمة ، وقفت المحكمة إجلالاً له ، وقدم له القاضى أسمى آيات الاحترام » .

أما الأستاذ « جوكهيل » فقال : « إنه من المعدن الذى يصنع منه الأبطال والشهداء ، بل الأكثر من ذلك أنه يملك القوة الروحية العجيبة ، التى تجعل من الناس العاديين ، الذين يلتفون حوله أبطالاً شهداء » .

أما الشاعر طاغور ، فقال : « كانت خفة الروح طبيعة ملازمة له ، ولم تتخل عنه ، حتى فى أشد الأزمات » .

أما « رومان رولان » : الكاتب الفرنسى فقال « وحسبى ما قلت كى أبين ، أن (غاندى) كان ينطوى على قلب إنجيلى خافق ، تحت كساء من الإيمان الهندوكى » . ولك أن تعرف أن هذا الكاتب رومان ، كتب عنك كتابًا رائعًا ، قدم فيه إجلال البشرية النزيهة لك ، يا أنزه البشر وأحفلهم بالخير على حد قوله ..

أما « العالم أينشتين » فقد كتب : « إن (غاندى) يتزعم الشعب الهندى : لا تؤيده فى هذه الزعامة أى سلطة خارجية ، وهو سياسى لا يقوم نجاحه على الحيلة أو المهارة فى الوسائل الفنية ، إنما على القوة الإقناعية فى شخصيته ، وهو مكافح مظفر ، يحتقر على الدوام أساليب العنف ، وهو حكيم متواضع ، قد تسلح بالإرادة كى يتناسق سلوكه ، قد رصد كل قواه ، لأن ينهض بشعبه ويرقى بمصيره ، وقد جابه توحش أوروبا بوقار إنسانيته ، ولذلك كان على الدوام يرتفع عليها ، وإن الأجيال القادمة سوف تشك ، فى أن إنسانًا مثل هذا قد سعى بقدميه على أرضنا » .

أما الجنرال « ماك آرثر » قاهر اليابان ، فقد قال « لاخلاص فى العالم ، إلا باتباع مبادئ المهاتما (غاندى) فى عدم العدوان » .

أما عن الحكام الإنجليز ، فمنهم من قال عنك « إن هذا الرجل يذكرنى ببولس الرسول ، وقال آخر « إنه ثورى خطر » ، وبعضهم وصفك بأنك رجل أوهام وخيالات ، ووصفك فريق بأنك «سياسى بارع أو مهيج غير متردد » وقال آخر « إنه مهما يكن من أمر هذا الرجل ، فإنه ليس رجلاً عاديًا ، وإنه يجتذب الأنظار ، ويخلب الألباب ، ويفرض عليك أن تستمع إليه » .

ـ أعتقد أنه قد ذكرنى كتاب من العرب والمصريين ؟

● لقد قال عنك الكاتب المؤرخ على أدهم : « هذا الرجل الفذ النادر ، أطلق عليه قومه بحق لقب (المهاتما) أى الروح العظيم ، ورأى العالم فى مواقفه المشرفة ، وكلماته الحكيمة ، وتوجيهاته الإنسانية ما يجعله جديرًا بهذا اللقب ، وبأن

يدرج اسمه فى سجل العظماء ، الذين أحسنوا إلى الإنسانية ، وأقاموا الحضارة ، وقدموا أروع الأمثلة للبذل والتضحية » .

أما الكاتب « السيد فرج » فقال : « لقد واجه (غاندى) الإمبراطورية التى لاتغرب عنها الشمس ، وهو رجل نحيل عريان ، لايملك من متاع الدنيا سوى عصا من فروع الأشجار يتوكأ عليها ، ومغزل ينسج به قماشًا يستره وعنزة تعطيه قطرات من اللبن يقيم به جسده الواهى وقبل وفاته كانت الهند قد حصلت على أستقلالها ، وانتزعت من بريطانيا ، أكبر درة فى تاج إمبراطوريتها .

أما الدكتور « أمير بقطر » فقد كتب : « لقد كان (غاندى) متطرفًا فى كل شىء تقريبًا ، ولعل سر عبقريته وذيوع شهرته ، وفرض سلطانه الأدبى على أمته ، وقدرته الفائقة على الإمعان فى هذا التطرف ، فى حياته الخاصة والعامة على السواء ، ونزعته إلى عرض أعماله وآرائه وتصرفاته ، بطريقة مسرحية منقطعة النظير . وهذه الحقيقة تنطبق على كل ما كان يقوم به من نواحى النشاط ... فلم يكن تمسكه بالغذاء النباتى إلى أقصى حد ، وإيثاره العلاج الطبيعى على الطبى ، وإصراره على زيارة قصر بكنجهام نصف عار ، وارتداء الثياب الفضفاضة من نسيج المغازل اليدوية ، واتباع مبادئ التسامح وعدم الاعتداء إلى أقصى حد ، واتباع آثار الشهداء والنساك فى الصلاة والصوم ، وإنكار الميول والغرائز الجنسية والابتعاد عنها كلية حتى من الأزواج ، بدعوى أنها تستنزف طاقة صاحبها ، والعزلة التامة عن أفراد عائلته البعيدة عن الإنسانية ، وحق الآباء فى فرض سلطانهم على الأبناء فرضًا لاقيود له .. لم تكن كل هذه سوى ألوان من العرض والتصرفات المسرحية » .

أما الكاتب سلامة موسى فقد قال : « علمنا غاندى أن حكمة الحكيم ، ليست بالاقتناء وإنما هى بالاستغناء ، وأننا نستطيع أن نحقق السعادة والمكانة ، وأن ننجز وعد حياتنا على الأرض ، بالقليل من الحاجات ، دون هذا البذخ الذى يضنينا بلوغه ثم لا يسعدنا الحصول عليه ، وأن ضرورات العيش من مسكن وملبس ومطعم قليلة ، بل إننا إذا أقللنا منها عشنا على أحسن حال » .

كما كتب أيضًا سلامة موسى : « لقد قرأ (غاندى) مؤلفات تولستوى وهو فى جنوب أفريقيا ، فتأثر بها كثيرًا ، وكان أن أسس ما أسماه « مزرعة تولستوى » حيث كان يعلم أبناء الهنود ، ويزرع معهم أرض المزرعة ومن هنا نشأت عنده فكرة التعليم بالعمل ، وهى الفكرة التى أحالت التعليم إلى تربية . لقد كان الهنود يعيشون أيام الإنجليز فى تقاليد الفقر والجهل والمرض ، وليس شىء يعمل لإزالة الذلة والهوان ، مثل هذه العناصر الثلاثة ، التى تجمع شرور العالم كلها ، وهى العون ، الأول للاستعمار ، ولذلك حاربها (غاندى) جميعًا ، بطراز جديد من المدارس ، يلائم ظروف القرية الهندية ، وهذا الطراز هو ما يسمى الآن بالتربية الأساسية » .

ـ ألم يرثى جواهر لال نهرو ؟

● لقد رثاك قائلاً فى ألم وحيرة :

... لقد انطفأ النور وصرنا فى ظلام .

... إن زعيمنا المحبوب « بابو » أبو الأمة مات .

... لقد أخطأت عندما قلت إن النور انطفأ .

... إن النور الذى سطع فى أرجاء هذه البلاد نور غير عادى .

... هذا النور الذى أضاء على هذه الأمة خلال السنوات الماضية سيستمر مضيئًا عدة أعوام أخرى .. آلاف السنين فى بلدنا ، وستراه الدنيا كلها .. سوف يضىء أرواحًا لاتعد ولاتحصى ..

إن هذا النور هو الحق ..

... وهذا الرجل الخالد كان معنا رمزًا للحق الخالد ، بشرنا بالطريق إلى الحق ، وينأى بنا عن الخطيئة ، ويأخذ بيدنا إلى الحرية

... مثل هذا الرجل لا يموت !!!

إنه كان هدية للإنسانية لاتقدر بثمن .

ـ أعتقد أنه يكفينا هذا مما كتب وقيل عنى ، وعلى من يريد المزيد أن يلجأ للكتب التى صدرت بعد وفاتى بكل لغات العالم ، والتى تجاوزت مائتى كتاب .

- **قد يكون من أهمها ، مذكرات خادمك أشور عن شخصيتك ، فقد قال إنه ـ أى أشور ـ كان من أسرة منبوذة يعتبر الهنود أن ملامستهم نوع من النجاسة ، وعاش مع أفراد أسرتك يخدمهم فى منزلهم . وكنت تقتطع من طعامك دون أن يعلم أبواك وتعطيه ليأكل حتى يشبع ، بل أحيانًا كنت تشاركه الطعام فى نفس الطبق .**

ـ المهم ماذا قال خادمى أشور فى مذكراته عن زواجى ؟

- **لقد قال إنك عندما تزوجت ، لم يتم هذا الزواج عن حب ، إنما جاء الحب عنيفًا بعد الزواج ، ونتيجة للعشرة الطويلة ،**

وأصبحت زوجتك تحبك حبًّا من أعماق قلبها ، وتنظر إليك نظرة ملؤها الاحترام والتقدير . وكان كل منكما ينافس الآخر فى إسعاده . كما قال إنك كنت سعيدًا فى زواجك ، فقد شاركتك زوجتك الحياة بحلوها ومرها واعتنقت مبادئك ، وآمنت برسالتك ، حتى إنها حكم عليها بالسجن بتهمة إثارة الهنود الملونين ضد حكومة البيض فى جنوب أفريقيا .

- ونكتفى بهذا القدر مما ورد فى مذكرات أشور عنى وزوجتى ويا حبذا لو أنهيت به هذا الحوار المطول الذى غطى كل حياتى منذ ولادتى وحتى ما بعد اغتيالى .

★ ★ ★

ختـــــام

على كلٍ أيها الروح العظيم (غاندى) ، لن تنسى الهند أنك قد نجحت فى إلغاء فكرة « البغاء الدينى » .

ـ إن جاز هذا التعبير ـ والذى كان يتمثل فى أن الهندوكى المؤمن كان ينذر ابنته لخدمة المعبد فإذا بلغت سن الصبا حملها إلى المعبد فتصبح « بغيًا » لرجال الدين ، فإذا تجاوزت سن الشباب والجمال طردوها من المعبد فتصبح « بغيًا » لكل من يريد من عامة الناس . لقد حاربت يا مهاتما (غاندى) حتى قضيت على هذه العادة البغيضة .

كما رفعت لعنة النجاسة عن المنبوذين وبشرت بالسلام ، وألغيت التفرقة بين الناس باسم الدين ، فاللَّه واحد يجتمع فى وحدانيته كل البشر .

فإذا أضفنا أن العالم كله ـ كان ومازال ـ يؤمن بأنه حيث توجد القوة توجد السيطرة ، إلا أنك غيرت هذا المفهوم واقتلعته من جذوره ، فلم يحدث فى التاريخ أن حصل شعب على استقلاله وتخلص من الاستعمار ، وحقق الجلاء ، وتغلب بالطرق السلمية والامتناع عن العنف على أكبر دولة استعمارية عرفها التاريخ كما حدث ذلك فى الهند بقيادتك أيها الزعيم (غاندى) .

وإن كانت الهند قد فقدت ابنا من أبرّ الأبناء كان له الأثر العميق في حياتها روحيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا ، إلا أن مذكراتك التي تركتها للمؤرخين ، وخطاباتك المتداولة بين الأصدقاء والأحباب والمريدين مازالت بما تثيره من جدل تؤكد أنك تركت قيمًا ومبادئ يتوارثها الأجيال .

وأرجو في نهاية هذا اللقاء الذي غصنا به في أعماقك أن نكون قد قدمنا لشباب جيلنا ورجال عصرنا المهتمين بالتجديد والمدركين لقيمة العطاء نموذجًا مشرفًا للزعيم الوطني المخلص .

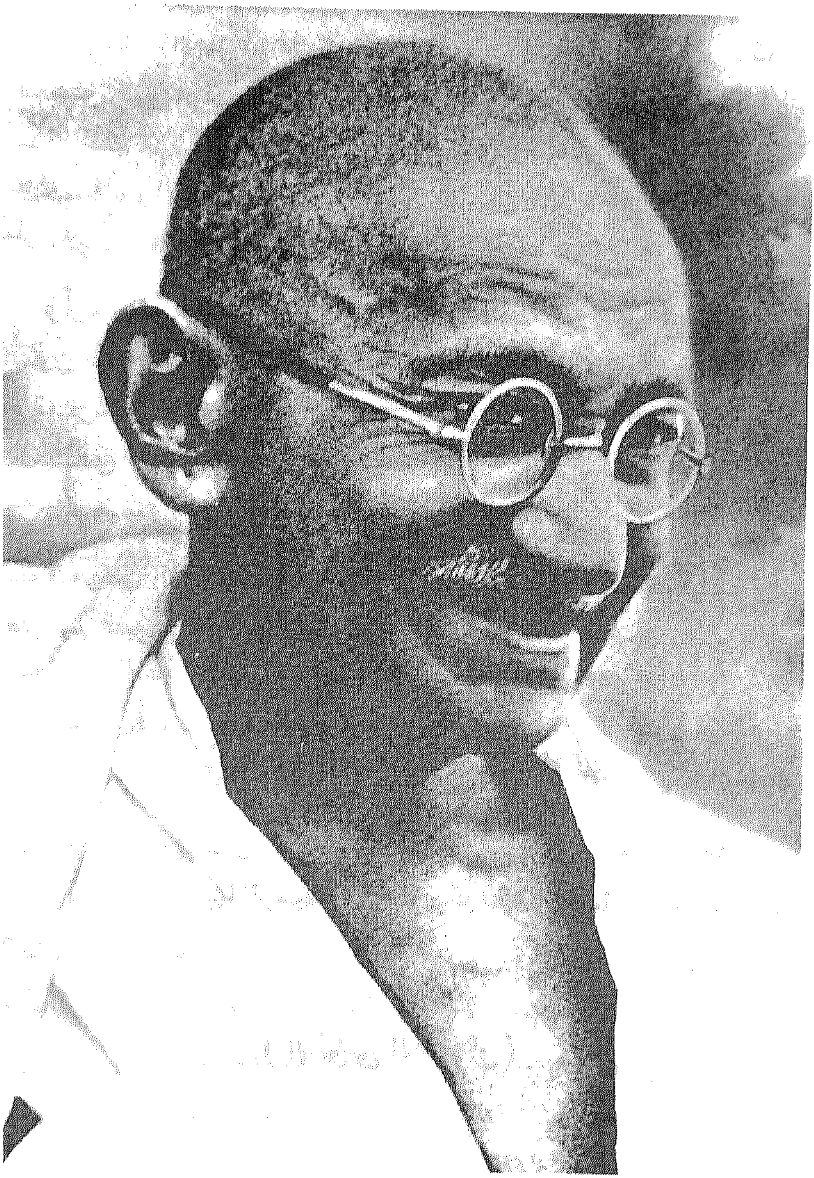
حقًّا يا مسيو (غاندي) .. لقد غبت عنا بالجسد إلا أن اسمك سوف يظل تأكيدًا للكفاح وعرفانًا بالتضحية . فالعظماء وإن طوتهم القبور إلاَّ أنهم لا يموتون :

أيها الروح العظيم .. المهاتما غاندي

أيها الثائر القديس غاندي

أيها الزعيم موهانداس كرمشند غاندي

(انتهى الحوار)



مهاتما غاندی



غاندى فى جلسة مميزة يرتدى رداءه المفضَّل



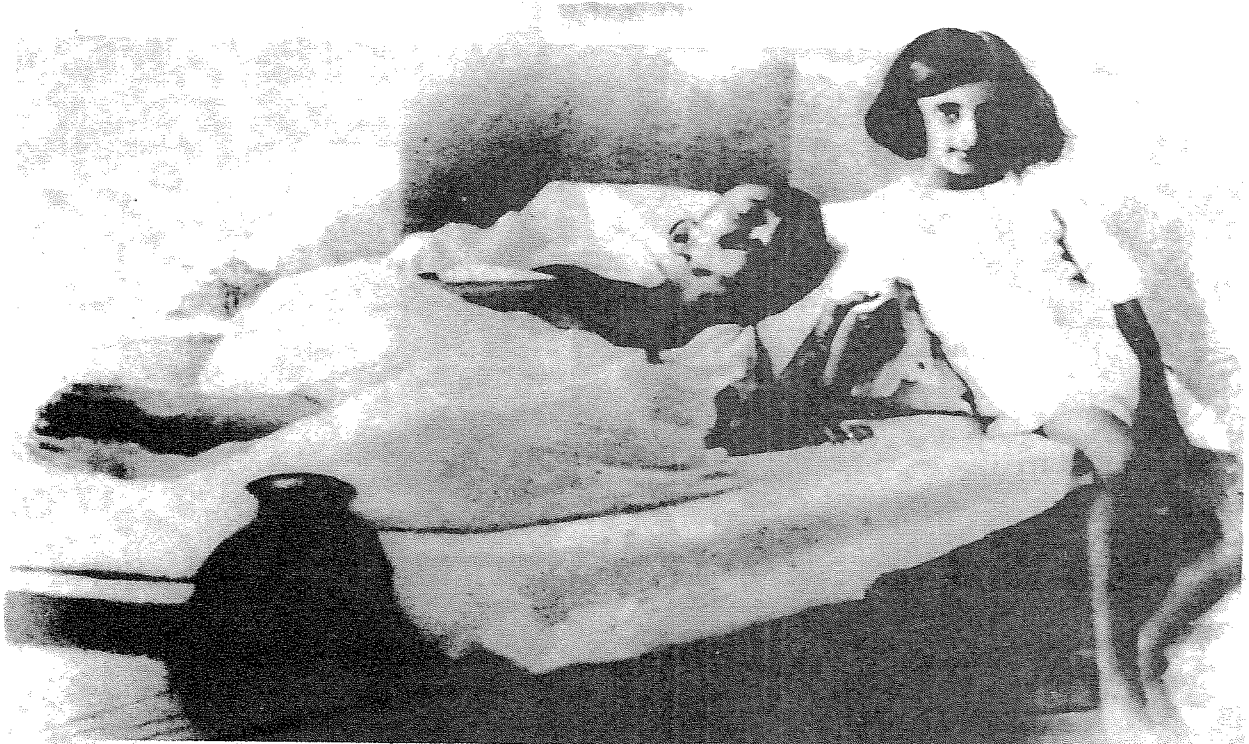
موهنداس غاندى وهو فى السابعة عشرة



المهاتما غاندى وهو طالب يدرس القانون فى إنجلترا (سنة ١٨٨٨) ، ومع أنه أصبح محاميًا بعد تخرجه إلا أنه لم يكن محاميًا ناجحًا .



نهرو وغاندي



المهاتما غاندى مع أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند (السابقة)



غاندي .. واهتمام بقضية بلاده



غاندي وهو محام في جوهانسبرج (بجنوب إفريقيا) سنة ١٩٠٦ .



كرمشاند غاندي .. والد غاندي



بوتالي با .. والدة غاندي



غاندى .. مع الشاعرة الوطنية ساروجينى نايدو



فى بورسعيد :

غاندى مع الزعيم الهندى المسلم ، شوكت على ، وقد وقفا فوق ظهر الباخرة فى بورسعيد فى طريقهما إلى لندن لحضور مؤتمر المائدة سنة ١٩٣١ .



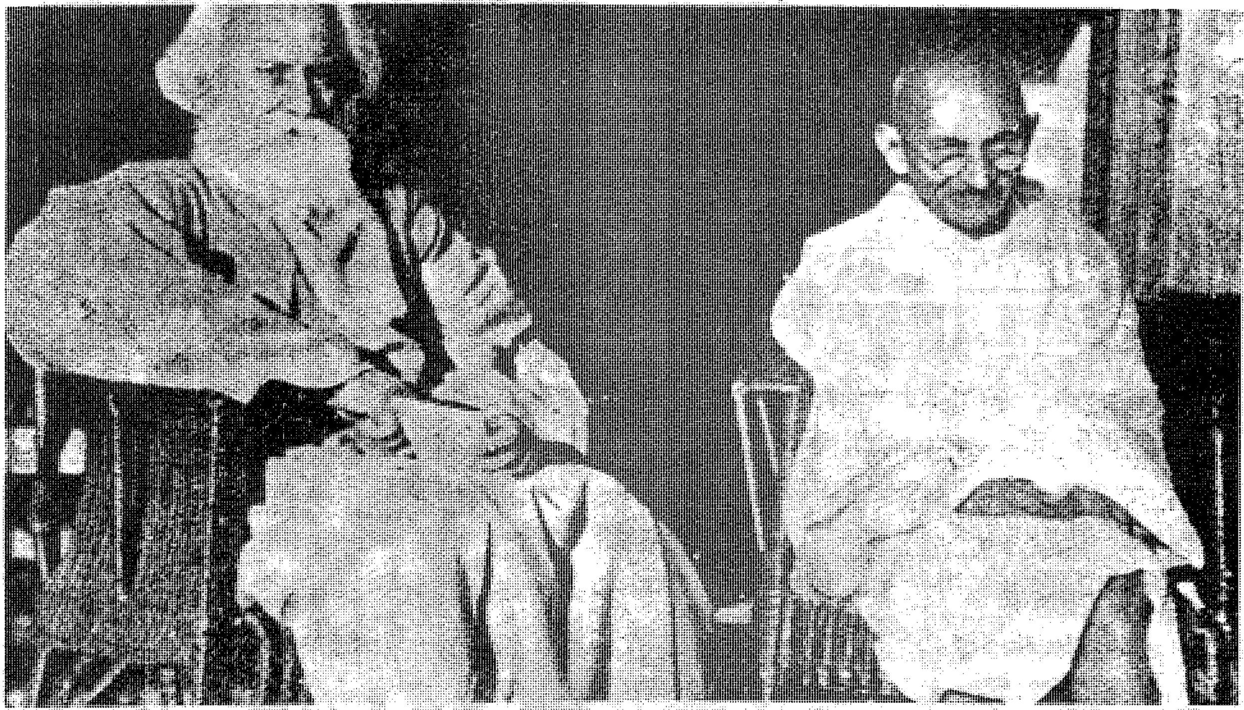
غاندى يخطب فى اجتماع عقد فى عدن وهو فى طريقه إلى لندن عام ١٩٣١



غاندى يقوم بتدليك أحد مرضى الجذام فى المستعمرة التى أنشأها



كاستورباى .. زوجة غاندى تعمل على عجلة الغزل



المهاتما غاندي مع شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور



غاندي .. مع رومان رولاند ، الفيلسوف الفرنسي ، في فيلانيف



غاندي مع المسجونين السياسيين في سجن دم دم المركزي في كلكتا : ديسمبر ١٩٤٥ .



ممتلكات غاندى من حطام الدنيا

فهرس

(تابع) الفهـرس

أدبيات

• صدر من هذه السلسلة •

نوم العازب
أ. أحمد حسن الألفى

عبد الحليم حافظ
أ. مجدى سلامة

محمد عبد الوهاب
أ. مجدى سلامة

الشخصية المنتجة
أ. يوسف ميخائيل أسعد

الشخصية المبدعة
أ. يوسف ميخائيل أسعد

ظلال الحقيقة
طيبة أحمد الإبراهيم

مذكرات خادم
طيبة أحمد الإبراهيم

سيكولوجية الهدوء النفسى
أ. يوسف ميخائيل

الشخصية السوية
أ. يوسف ميخائيل

التنويم المغناطيسى
أ. يوسف ميخائيل

قادة الفكر الفلسفى
أ. يوسف ميخائيل

الشخصية القيادية
أ. يوسف ميخائيل

من شرفات التاريخ جـ١
أ. محمد رجب البيومى

من شرفات التاريخ جـ٢
أ. محمد رجب البيومى

الأسرة (آدم وحواء)
أ. مجدى سلامة

شعرة معاوية
أ. عرفات القصبى قرون

مناظرات على الورق جـ١
أ. يوسف ميخائيل أسعد

أحمد بهاء الدين
مجدى سلامة

نساء العرب
محمد إسماعيل الجاويش



أسرار شخصية الإنسان
أ. يوسف ميخائيل أسعد

مناظرات على الورق جـ٢
أ. يوسف ميخائيل أسعد

سيكولوچية الفكر
أ. يوسف ميخائيل أسعد

سيكولوچية العاطفة
أ. يوسف ميخائيل أسعد

سيكولوچية الإدارة
أ. يوسف ميخائيل أسعد

لعنة المال
طيبة أحمد الإبراهيم

فكر وفن وذكريات
لوسى يعقوب

الإنسان الباهت
طيبة أحمد الإبراهيم

الإنسان المتعدد
طيبة أحمد الإبراهيم

انقراض الرجل
طيبة أحمد الإبراهيم

الحياة مرة أخرى
نوال مصطفى

الإعلام والمخدرات
نوال محمد عمر

أم كلثوم
مجدى سلامة

المرأة العاملة
سوزان عبد المجيد أغا

ساعة الحظ
محمد حسن الألفى

الملامح الخفية (لجبران ومىّ)
لوسى يعقوب

البلهاء
طيبة أحمد الإبراهيم

القرية السرية
طيبة أحمد الإبراهيم

غاندى
مجدى سلامة

فريد الأطرش
مجدى سلامة

الكعبة المشرفة
محمد إسماعيل الجاويش

طغاة قريش
محمد إسماعيل الجاويش

رفاعة الطهطاوى
مجدى سلامة

